الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم - قم المقدسة

الدفاع عن الأنبياء والمرسلين
في
كتاب الله المبين

الشيخ
حسن يحيى المياحي

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار القرآن الكريم

قم المقدسة

العنوان: إيران . قم المقدسة . شارع بسيج . شارع تراب نجف زاده

الفرع رقم ١ . مجمع مصابيح الدجى . الطابق الرابع

Mail: im. hu. qu@Gmail. Com

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

اسم الكتاب: **الدفاع عن الأنبياء والمرسلين في كتاب الله المبين**

المؤلف: الشيخ حسن يحيى المياحي

نشر وإشراف: دار القرآن الكريم - قم المقدسة

المطبعة: مشعر

عدد النسخ: ١٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ
وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ *
وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ *
وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

(الأنعام: ٨٢ - ٨٧)

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين

وبعد..

تواصل دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة نشاطها في مجال البحث العلمي والتعليمي من خلال رعايتها لنشر الكتب التي لها فائدة علمية وبحثية للقرّاء الأعزاء .

وأن الرعاية الأبوية الكريمة للمتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزّه) كان لها الدور الكبير في تعزيز هذا النشاط الثقافي والعلمي المّميز .

واليوم نقدّم لقرّائنا الأعزّاء هذا الكتاب (الدفاع عن الأنبياء والمرسلين في كتاب الله المبين) والذي يتحدّث عن موضوعٍ مهمٍّ وحسّاس اختلفت حوله المذاهب والفرق ولم تتوانَ بعض تلك الفِرق باتهام بعض الأنبياء بأفعال منافية للعصمة مستندين بذلك إلى ظاهر بعض آيات القرآن الكريم.

وقد حاول مؤلّف هذا الكتاب سماحة الشيخ حسن يحيى المياحي (حفظه الله) أن يجيب عن هذه الاتهامات و الاشكالات ، وأن يثبت عصمة الأنبياء وعدم ثبوت أي شيء يخدش عصمتهم.

وقد أخذت الدار على عاتقها ومن خلال كادرها المتخصّص تحقيق وتدقيق ومراعاة الضوابط العلمية وللفنيّة التي يتطلّبها النتاج العلمي.

نسأل الله سبحانه أن يوّفق المؤلّف ويحفظه من كلّ سوء.

والحمد لله رب العالمين

دار القرآن الكريم

قم المقدسة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين

أما بعد: بعث الله تعالى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام إلى الخلق؛ ليوصلوا رسالة السماء، وقد لاقوا من بعض الخلق من القتل والتعذيب والتنكيل والتكذيب وغيرها مالا يطيقه غيرهم، إلا أنه قد تسامت أرواحهم الزكية عن هذا كله، ولا يُحتاج إلى تلميع صورتهم للناس إذ هم أعلى من ذلك؛ لارتباطهم بالسماء واتصالهم بالوحي وأخلاقهم شاهدة على ذلك.

ولكن لا ينبغي لنا أن نقصر في الدفاع عنهم ودفع الشبهات التي أحاطت بهم؛ وذلك لعدة فوائد، منها: إفهام الأجيال القادمة الذين لم يعاصروهم نزاهة أصحاب الرسالات وطهارتهم مما نسب إليهم، ومنها ما يترتب على مبحث العصمة ودوره في بناء الأمم، فصاحب الرسالة إذا كان معصوما يختلف عما إذا لم يكن كذلك في وجوب طاعة الناس له باعتباره أكملهم وأفضلهم.

ومنها: ما يترتب على مبحث الطاعة وهل هي في بعض أو كل ما يقوله النبي إلى غير ذلك.

فالبحث ليس في السنّة الشريفة، وما نسب لهم في الموروث الروائي؛ لأنه واضح البصمات من الدس والتزوير عليهم، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لنفرد له رسالة مستقلة تتعرض لعصمة الأنبياء في الموروث الروائي.

وإنما البحث عنهم هنا في خصوص القرآن الكريم، وبالأخص في الآيات

المتشابهة التي تنسب العصيان والنقص والنسيان والشك والتقصير للأنبياء، وهي للوهلة الأولى واضحة في نسبة ذلك لهم كقوله تعالى في آدم: ﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١).

وفي نوح حيث قال تعالى: ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: ٤٦).

وفي موسى حيث قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص: ١٦).

وفي يونس حيث قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

وفي يوسف حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

وأوضحها ما كان في خصوص النبي الخاتم صلى الله عليه وآله حيث قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾ (الحاقة: ٤٤).

وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة: ٤٣).

إلى غير ذلك من الآيات المتشابهات والتي تحمل أكثر من معنى حيث قَصَّر البعض في فهم بعض الآيات، ولم يُرجع المتشابه للمحكم، أو حملَ بعض الآيات على أنها ناظرة لاجتهاد النبيﷺ في التطبيق وإدارة الأمة وما اختلفوا فيه، فوقعوا في شبهة عدم العصمة، فمنهم من قال: إنهم يعصون ولا يضر ذلك في نبوتهم، ومنهم من قال: بأنهم يسهون أو ينسون أو يشتبهون أو يخطأون، ومنهم من قال: بأن النبيعليه السلام يجتهد في بعض الأحكام من دون أن ينزل بها وحي من السماء، وعلى هذا فمنهم من ذهب إلى أنَّه يصيب بكل اجتهاده، ومنهم قال: يصيب ويخطئ باجتهاده، ومنهم قال: بأنه يصيب ويخطئ ولكن لا يستمر على خطئه!

ومنهم من نفى العصمة أصلاً بسبب تفسيره لبعض الآيات على الظاهر فنتج عن ذلك بعض الشبهات، ومن أهمها تعرّض صاحب الرسالة إلى الخطأ، وبالأولوية إلى السهو والنسيان والغفلة، وإذا صح ذلك عليه فهذا يعني أن احتمال الخطأ والسهو والنسيان سارٍ على جميع ما يقول وهو لازم باطل. بمعنى أننا إذا قلنا أن النبي يخطئ أو يسهو أو ينسى فهذا يحتمل في جميع ما يقول، فقد يذكر آية قرآنية وينسى بعضها أو يخطئ فيها أو غير ذلك، ولو قالوا بأنه معصوم في خصوص القرآن لا السنّة فهذا لا يحل المشكلة؛ لأن القرآن والسنّة مصدرا التشريع وكلاهما حجة على الخلق وكلاهما تحرم مخالفته، وعلى هذا فإن السنّة حجة ومخالفتها محرمة، فكيف يكون الخطأ حجة وكيف يكون

السهو حجة وكيف يكون النسيان حجة؟

ولذا نكتب هذه الرسالة؛ لدفع هذه الشبهات بقدر ما نستطيع مع مراعاة الاختصار قدر الإمكان وإرجاع القارئ والباحث إلى أمهات المصادر التي تحدثت عن هذه المشكلة وهي العصمة بشكل عام، وعصمة الأنبياء وعدمها ككتب التفسير والروايات وقصص الأنبياء والتي تحدثت عنها ببحوث متفرقة. كما أن هناك سبب آخر للاختصار وهو محاولة التسهيل على القاريء ليعرف المشكلة أو الاشكال ويعرف جوابها، فإن أكتفى بما نقول فهو، وإلاّ فالرجوع إلى الكتب المبسوطة والدراسات المعمّقة.

وقد واجهت في بحثي هذا عدّة مشاكل وعقبات، ومن أهمها قلة المصادر وندرتها التي تكلمت عن هذا الموضوع بشكل خاص ومستقل حيث كانت المصادر مختصرة في حل الشبهات أو مقتصرة على بعض الأنبياء، ومن أهمها كتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى، ورسالة في رفع الشبهات عن الأنبياء للسيد محمد محمد صادق الصدر، وكلاهما مختصر وهو أشبه بأجوبة الاستفتاءات، ومنها كتاب عصمة الأنبياء في القران الكريم للشيخ جعفر السبحاني، وهو كتاب فصّل بعض شبهات الأنبياء دون الاخرين. كما أن هناك أبحاث مبثوثة في كتب التفسير والعقيدة وقصص الأنبياء إلا أنها مبعثرة ومختصرة كثيرا، ولم أحصل على كتاب مفصّلٍ ووافٍ من حيث الشمولية للآيات وطرح الشبهة بشكل واضح والإجابة عنها بشكل أوضح بل كانت مقتصرة على الآيات المشهورة من حيث الاشكال كعصيان آدم ونسبة الكذب لإبراهيم وهمٍّ يوسف بإمرأة العزيز وغير ذلك قليل.

ومن خلال هذه الصعوبات والمعوقات حاولت أن أستوفي في بحثي جميع الآيات موضع الاشكال بقدر استطاعتي والتوفيق من الله. فكم ترك السابق للاحق، ولا أدعي بذلك أني استوفيت المسألة من جميع جهاتها، وأحصيت جميع الشبهات وأجبت عنها. بل أعترف بقصوري وتقصيري من هذه الناحية إلا أنها خطوة بسيطة في هذا الإتجاه ممهداً الطريق أمام اللاحق ليستفيد مما توصلت إليه من هذا البحث والله الموفق.

وقد احتجت في رسالتي هذه إلى مقدمة مهمة في العصمة بشكل عام، ثم تطبيقها عليهم لبيان عصمتهم عليهم السلام فما لم نُثبت أصل العصمة ثم عصمتهم ونزاهتهم عن النقص لم نستطع الانطلاق في عملية تنزيههم ورفعهم عن الشبهات أو رفع الشبهات عنهم. فتارة نتكلم عن معصوم نُسب العصيان إليه، وتارة نتكلم عن عاص[1] نُسبت العصمة إليه، وبإثبات عصمتهم عليهم السلام يكون دفع الشبهة عنهم يسيراً.

ثم نقف على كل آية من الآيات التي وقع الاشكال فيها والتي أدعي أنها تنسب ما يتعارض مع العصمة من العصيان أو الكذب أو السهو أو النسيان للأنبياء، ونحاول دفع الشبهة عنهم عن طريق آيات أخرى أو روايات أو أخبار تأريخية أو أدلة عقلية، ونُعرض عن الدخول في الروايات الموضوعة والضعيفة التي وردت في تفسير القرآن أو شرح قصص القرآن وإن كنّا نضطر أحيانا إلى أن نتعرض لها باختصار، وأهمها تلك التي دخلت إلى تراثنا الإسلامي من

(١) مطلق غير المعصوم.

الموروث الإسرائيلي عن طريق كعب الأحبار[١] و وهب بن منبَّه[٢] وغيرهما ممن دخل الإسلام لهدم الإسلام، فضلا عن روايات الحزب الأموي التي تحاول تهديم الإسلام من خلال تشويه الروايات الصحيحة، ودس الروايات المكذوبة والتي تنسب العصيان والخطأ لأصحاب الرسالة وخصوصا نبينا

---

(١) كعب بن مانع وهو كعب الأحبار يكنى أبا إسحاق أدرك عهد النبيﷺ ولم يره كان إسلامه في خلافة عمر بن الخطاب روى عنه أبو إدريس الخولاني عن أبي مسلم الحلبي معلم كعب الخير وكان يلومه على إبطائه عن رسول اللهﷺ قال كعب: خرجت حتى أتيت ذا قرنات فقال لي: أين تأخذ يا كعب؟ قلت: أريد هذا النبيﷺ، فقال: والله لئن كان نبياً إنّه الآن لتحت التراب، فخرجت فإذا أنا براكب، فقلت: ما الخبر؟ فقال: مات محمد وارتدت العرب.

(٢) ليس له ترجمة وافية فقد قيل: إنه يهودي، وقيل: إنه مجوسي. قال ابن قتيبة في كتاب المعارف ص ٤٥٩: هو: من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، ويكنى أبا عبد الله، وقال: قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا، وكان له إخوة منهم: همّام بن منبه وكان أكبر من وهب، وروى عن أبي هريرة، ومات قبل وهب. ومنهم: معقل بن منبه، وعمر بن منبه، وقد روى عنهما أيضا.

ومات وهب بصنعاء سنة عشر، ويقال سنة أربع عشرة ومائة.

قال الاستاذ محمود أبو رية في كتابه (شيخ المضيرة، ابو هريرة ص٩٣):

(وكان الأستاذ سعيد الأفغاني قد نشر مقالا بمجلة الرسالة المصرية قال فيه:

إن وهب بن منبه هو الصهيوني الأول، فصححت هذا الرأي بمقال نشر في العدد ٦٥٦ من هذه المجلة أثبت فيه بالأدلة القاطعة أن كعب الأحبار هو الصهيوني الأول، وما كاد هذا المقال ينشر حتى هب في وجهنا شيوخ الأزهر وأمطرونا وابلا من طعنهم المعروف وقالوا: كيف تصف (سيدنا كعبا) بأنه الصهيوني الأول، وهو من كبار التابعين وخيار المسلمين؟

ومما يؤسف له إنهم لا يزالون يذكرون إسمه بالسيادة إلى اليوم. ويرجع إلى ترجمة سائر كهنة اليهود بكتابنا الأضواء الطبعة الثالثة.

الأعظم صلى الله عليه وآله وهذه هي الأخطر؛ لأنها وردت من داخل البيت الإسلامي فيكون ردها أصعب؛ لأن ردَّها يستلزم تكذيب بعض الرواة ممن ثبتت عدالتهم عند بعض المحدثين، وهذه أصعب من سابقتها[1].

كما ولم ننقلُ الروايات التي تمس مقام الأنبياء وعصمتهم؛ لإختصاص الكلام حول ما ورد في القران الكريم بحقهم إلا ما كان شائعاً من تلك

---

(١) يقول ابن خلدون في تأريخه ج١، ص٤٤٠: عند البحث في التفسير النقلي وإنّه يشتمل على الغث والسمين والمردود: (وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوقوا إلى معرفة شئ مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حميّر الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فتتحرى في الصحة التي يجب بها العمل وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص).

الروايات فيستحق مناقشته ودفعه كما تقدم.

ولا نتعرض إلى الروايات التي تفسر بعض الآيات بما لا ينسجم مع جو القرآن العام؛ لوضوح فسادها وضعف دلالتها كالروايات التي وردت في تفسير سورة عبس.

وإنما أهم ما نتعرض له هي الآيات التي وقع الخطأ في تفسيرها لأجل أنها متشابهة؛ وذلك لأن بحثنا في خصوص الآيات القرآنية التي ورد فيها ما يشتبه في أنه انتقاص أو عدم تنزيه للأنبياء، ونكتفي بذكر بعض الروايات التي ينسجم مضمونها مع مقام العصمة.

وقد رتبتها على أربعة فصول:

الأول: بحوث تمهيدية حول العصمة.

الثاني: الدفاع عن أنبياء أولوا العزم عليهم السلام بحسب تسلسلهم التاريخي[1].

الثالث: الدفاع عن سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

الرابع: الدفاع عن الملائكة المكرمين عليهم السلام[2].

---

(١) إلا النبي صلى الله عليه وآله فسيكون في مقدمتهم كما ورد في القرآن الكريم: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾ (الأحزاب: ٧).

(٢) من الأسباب التي دعتني إلى ادراج الملائكة عليهم السلام في هذه الرسالة مع الأنبياء والرسل؛ لكونهم من الرسل بنص القرآن الكريم: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (الحج: ٧٥).

هـذا وأهـدي عملـي المتواضـع إلـى جميـع الأنبيـاء والمرسـلين، وملائكـة الرحمن المقربين لاسيّما حبيبِ إله العالمين المبعوث رحمـة للثقلـين أبـي القاسـم محمد وآله الطاهرين.. أهـدي إلـيكم هـذا السـفر راجيـاً مـن الله تعـالى أن يتقبلـه بأحسن قبول ويكون ذخراً ليوم فقري وفاقتي.

المؤلف

الفصل الأول

بحوث تمهيدية

- تعريف العصمة
- مفهوم العصمة
- مراتب العصمة
- طرق إثبات العصمة

مقدمة في العصمة

لمّا خلق الله تعالى الإنسان لأجل هدف معين، وهو التكامل والوصول إلى أعلى درجات القرب الإلهي.

حيث قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

من هنا احتاج هذا التكامل إلى وسائل - لو صح التعبير - للوصول إليه فخلق الله تعالى له العقل ثم بعث إليه الأنبياء والأوصياء لتحصيل هذا الهدف، كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «يَا هِشَامُ إِنَّ لِلَّه عَلَى النَّاس حُجَّتَيْن حُجَّةً ظَاهِرَةً وحُجَّةً بَاطِنَةً فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ والأنبياء والأَئِمَّةُ عليهم السلام، وأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ»[1] إذاً هم عليهم السلام الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه العبد ؛ لأجل الوصول إلى الهدف المنشود فبما أنهم الوسيلة والطريق إلى الله تعالى، فلابد أن يُنزهوا عن كل أشكال العيب والنقص.

العصمة:

وحيث أن البحث في الدفاع عن عصمة الأنبياء احتجنا إلى بيان مفهوم

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١، ص ١٦.

العصمة لغةً واصطلاحاً حتى نرفع ما قد يلتبس في مفهومها.

العصمة لغة:

قال ابن منظور: (العصمة في كلام العرب: المنع، وعصم الله عبده أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه) [١].

العصمة اصطلاحا

قال السيد المرتضى: (العصمة هي: اللطف الذي يفعله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح)[٢].

وقال ابن أبي الحديد: (قال أصحابنا: العصمة لطف يمنع المكلف من القبيح اختياراً)[٣].

مفهوم العصمة

لابأس بالإشارة إلى مفهوم العصمة ورفع الالتباس حيث يفهم البعض العصمة بشكل خاطئ، وبالتالي تترتب على هذا الفهم نتائج سلبية، وسوف نختصر على القارئ الكريم من باب البيان، وتفصيله موكول إلى محله[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ج ١٢، ص ٤٠٣ مادة عصم.

(٢) رسائل المرتضى ج ١، ص ٢٩٥.

(٣) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد المعتزلي ج ٧، ص ٨.

(٤) انظر كتاب العصمة للسيد كمال الحيدري ففيه تفصيل واف لها، وغيره من الكتب التي تكلمت عن العصمة مفصّلا.

الأول: العصمة الجبرية

ذهب البعض -وهو قول منسوب إلى الأشاعرة- إلى أن المعصومين مسلوبوا الاختيار، أي: إنهم لم يمتنعوا باختيارهم بل أُجبروا عليه[1].

---

(١) قال السيد الحيدري في كتابه: (العصمة بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني: الاحتمال الثاني في العصمة:

المعصوم ليس بشراً!

وهذا الاحتمال يصوّر المعصومين بأنّهم سنخ وجود لا يصدر منهم إلاّ الطاعة فهم ليسوا ببشر وليست لهم أحكام البشرية من الشهوة والغضب وغيرهما، بل هم موجودات أُخرى بصورة البشر، وهم في ذلك أشبه ما يكونون بالملائكة: ﴿**لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ فلم تصدر منهم المعصية؛ لعدم وجود دواعيها في نفوسهم من الشهوة والغضب وأمثالهما بغضّ النظر عن قدرتهم على ذلك أو عدمه.

وهذا هو المنسوب إلى بعض المتكلّمين، وربّما كانوا من الأشاعرة، قال ابن أبي الحديد:

(اختلف الناس في المعصوم ما هو؟

فقال قوم: المعصوم هو الذي لا يمكنه الإتيان بالمعاصي، وهؤلاء هم الأقلّون من أهل النظر.

واختلفوا في عدم التمكّن كيف هو؟

فقال قوم منهم: المعصوم هو المختصّ في نفسه وبدنه أو فيهما بخاصّيّة تقتضي امتناع إقدامه على المعاصي).

مناقشة الاحتمال الثاني

هذا الاحتمال تواجهه مجموعة اشكالات:

الأوّل: مسألة القدوة في حياة الناس فإنّه لابدّ للدين ـ كما تقدّم ـ من تجسيد النظرية في الواقع العملي من أجل صنع القدوة الصالحة والأسوة الحسنة؛ ليتأسّى به جميع الناس في حياتهم العملية.

ومن البديهي أنّ القدوة ينبغي له أن يكون مثل الناس، ويحمل بين جوانحه عين ما يحمله الناس من الغرائز والدوافع النفسية، ومن ثمّ يكون بإمكانهم الاقتداء به في كبح جماح النفس وتوظيف الغرائز توظيفاً سليماً، ومقاومة كلّ شرّ تبعثه النفس الأمّارة.

←

أمّا لو لم تكن عنده غرائز البشر، ولا الدوافع الشهوية التي عندهم فبأيّ فعل من أفعاله يقتدون، وهو لم يدافع أيّ شيء من شرور نفسه، ولم يوجّه شهوة ولا غريزة بالاتّجاه الصحيح بعد أن كانت مفقودة لديه كلّها.

ولهذا نلاحظ أنّ القرآن الكريم لم يجعل الملائكة قدوة للناس، ولادعا الناس للاقتداء بهم بل كانت كلّ دعوته الاقتداء والتأسّي بالأنبياء والصالحين من الناس، قال تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾...

إلى قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ...**﴾.

ولقد كان بالإمكان عدّ بعض الملائكة من جملة الذين هداهم الله لكن حيث كانوا من جنس آخر يختلف عن البشر بغرائزه وقواه النفسية، لم تصحّ دعوة الناس للاقتداء بهم في سمتهم وهداهم.

جاء في صحيح عبد الله بن سنان، قال:

سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم».

الثاني: مخالفته لصريح القرآن الكريم والسنّة الشريفة، حيث يؤكّدان بصراحة أنّ هؤلاء القادة الأبرار إنّما هم بَشرٌ كبقيّة الناس كما توجد عندهم جميع آثار البشرية وأحكامها من الغرائز والعواطف النفسية وغيرها، فهم لا يمتازون بشيء عن بقيّة أفراد مجتمعاتهم.

نعم، هم ـ وبغضّ النظر عن الرسالة التي جاءوا بها ـ يتفوّقون على الناس بما تحلّوا به من فضائل ومكارم وكمالات نفسية هي بمتناول الكلّ، وتحت اختيار الجميع يتمكّنون من نيلها والتحلّي بها.

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾.

وقال سبحانه: ﴿**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾.

الجواب:

هذا باطل جزماً؛ لعدة وجوه أهمها: أنَّه لو كان امتناعهم بسبب سلب إرادتهم فكيف يأمرنا الله تعالى بالإقتداء بهم؟ فيكون تكليفاً بغير المقدور.

بل أنهم عليهم السلام بكل اختيارهم كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (الأنعام: ١٤) فصريح هذه الآية أنّ النبي صلى الله عليه وآله يملك الاختيار لكن المانع من ارتكاب المعصية هو طاعة الله وتجنب دخول النار والعذاب.

وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنْ الظَّالِمِينَ**﴾ (يونس: ١٠٦). فلو كان مسلوب الإرادة والاختيار فلماذا ينهاه؟ وغيرها من الآيات المباركة الدالة على الإرادة والاختيار.

الثاني: المعصوم ليس بشرا

وذهب البعض[1] إلى أن المعصومين عندهم الإرادة والاختيار، ولكنهم ليسوا من سنخ البشر وليس لهم من الطبائع البشرية من الغضب والشهوة وغيرها

وقال عزّ اسمه: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً...** ﴾.

فهذه الآيات المباركة ونظائرها كثيرة في القرآن الكريم، وكلّها تؤكّد هذه الحقيقة، وهي أنّ هؤلاء الصفوة بشرٌ كغيرهم غير أنّهم مُرسلون لإنذار البشر أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿**نَذِيراً لِلْبَشَرِ**﴾.

(١) وهو المنسوب للأشاعرة كما تقدم.

شيء، فلما كانت خصائصهم تختلف عن خصائص البشرية فلا يصدر منهم معصية؛ لعدم وجود دواعيها.

الجواب:

يرد عليه نفس ما تقدم.. فكيف نُؤمَر بالاقتداء بهم ونحن عندنا دواعي المعصية وهم ليسوا كذلك!. وهذا أيضاً يخالف صريح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾ (فصلت: ٦).

وقال تعالى: ﴿**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (إبراهيم: ١١).

الثالث: العصمة بالاختيار

وذهبت مدرسة الإمامية إلى هذا القول وهو: إنّ المعصوم له كل الإرادة والاختيار ولكن بما عنده من علم يمتنع عن المعصية، (والعصمة تفضّل من اللّه تعالى على من علم أنّه يتمسّك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرّة للمعصوم إلى الحسن ولا ملجئة له إليه بل هي الشيء الذي يعلم اللّه تعالى إنّه إذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصية له...)[1] والآيات التي ذكرناها في الجواب على العصمة الجبرية

(١) تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد ص٣٥٦، تحقيق: السيد محمد علي أيازي.

شاهد على هذا الفهم[1].

(١) قال الحيدري في كتاب (العصمة بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني):
رابعاً: النصوص الكثيرة من القرآن الكريم والسنّة الشريفة التي وردت بلغة الأمر أو التهديد أو التحذير للأنبياء والمرسلين والأئمّة عليهم السلام، ومن الواضح إنّه في فرض عدم تمكّنهم من ارتكاب المعاصي، وعدم قدرتهم على ذلك، وكونهم لا اختيار ولا إرادة لهم في جميع أفعالهم لم يكن لهذا التحذير أو التهديد أيّ معنى بل يكون عبثاً ولغواً.
ومن هنا فلابدّ من كون هؤلاء الأصفياء متمكّنين من كلّ فعل الطاعة والمعصية، وإنّما تركوا المعاصي باختيارهم وإرادتهم حتّى يصحّ نهيهم عنها.
أمّا النصوص فهي كما يلي:
١ ـ القرآن الكريم:
قال تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾.
وصريح هذه الآية المباركة أنّ الرسول نفسه يخاف من معصية الله سبحانه؛ لأنّها تؤدّي إلى العذاب في ذلك اليوم العظيم فلو لم يكن قادراً عليها فكيف يخاف منها؟!
وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾.
ومن لا اختيار له في أفعاله هل يصحّ أن يقال له: (فَإِنْ فَعَلْتَ)؟!
٢ـ السنّة الشريفة:
وقد تظافرت ـ بل تواترت ـ رواياتها أيضاً على أنّ جميع ما ناله المعصومون إنّما هو بالطاعة لا غير.
١ ـ الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:
إنّ بعض قريش قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: بأيّ شيء سبقتَ الأنبياء، وأنت بُعثتَ آخرهم وخاتمهم؟ فقال: «إنّي كنتُ أوّل مَن آمن بربّي، وأوّل مَن أجاب حيث أخذ الله ميثاق ⇐

مراتب العصمة

وقع الخلاف بين علماء المسلمين هل إنهم عليهم السلام معصومون مطلقاً أي في الواجبات وترك المحرمات، وفي تلقي الوحي وإبلاغه، وفي التطبيق وفي الشؤون الحياتية؟ أو إنهم معصومون في بعض المجالات؟

الجواب:

أما الأول: أي عصمتهم في الواجبات وترك المحرمات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

النبيّين وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فكنت أنا أوّل نبيّ قال (بَلَى) فسبقتهم بالإقرار بالله عزّ وجلّ».

٢ ـ صحيح جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال:

«يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله وأطاعه... ». إلى أن يقول: «ياجابر والله ما يُتقرّب إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بالطاعة، وما معَنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجّة، مَن كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومَن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تُنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع».

وصريح هذا الحديث أنّ تقرّب جميع العباد ومنهم الأئمّة إلى الله تعالى لا يكون إلاّ بالطاعة، وإنّهم عليهم السلام لا براءة لهم من النار، والبراءة إنّما هي من خلال العمل والطاعة والورع عن محارم الله.

وإذا كانت ولايتهم عليهم السلام لا تُنال إلاّ بالعمل والورع فهل من المعقول أن يكونوا هم أنفسهم لا يحتاجون إلى الجدّ والعمل، وأنّ ثوابهم لا باستحقاق، بل يصِلون إلى القرب الإلهي جزافاً ومن دون عمل وطاعة، وأنّ جميع ما يُقدّمونه من الطاعات ليس باختيارهم ولا بإرادتهم؟!) راجع البحث مفصلا في المصدر.

﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٨٧). فطريق الصراط المستقيم لا ينسجم مع أي نوع من أنواع المعاصي، فمن كان على الصراط المستقيم كان معصوماً.

وأما الثاني: تلقي الوحي، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِك﴾ (الشعراء: ١٩٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

فهذا شاهد على العصمة في تلقي الوحي.

وأما الثالث: وهو تطبيق الشريعة في حياة الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣). وهذه الآية شاهدة على عصمته بالتطبيق.

أما الرابع: الشؤون الحياتية، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاء شَهِيداً﴾ (النساء: ٤١).

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ (النحل: ٨٤).

ولابد أن الذي يكون شاهداً على الخلق يعلم صغيرها وكبيرها ومعصوماً في جميع تشخيصاته، وتثبت له العصمة بجميع مراحلها الأربع في طرق إثبات العصمة. الآتي ذكرها.

طرق إثبات العصمة

بعد هذا التوضيح المختصر نثبت العصمة من خلال القرآن الكريم،

وبعدة طرق:

الأول: الصراط المستقيم

لم يذكر القران الكريم الصراط بصيغة الجمع إطلاقاً بل بصيغة المفرد: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ (الفاتحة: ٦) بخلاف السبيل فقد جاء مفرداً تارة وجمعاً تارة أُخرى، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ (العنكبوت: ٦٩)، والفرق بين الصراط والسبيل أن السبيل قد يكون ممدوحاً وقد يكون مذموماً فيأتي مفرداً وجمعاً، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الانعام ١٥٣) ولكن الصراط ممدوح مطلقاً فيأتي مفرداً.

فمن كان على الصراط المستقيم يكون معصوماً[1]، قال تعالى: ﴿**يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ (يس: ١ – ٤)، ﴿**إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ (الزخرف: ٤٣).

فإن قلت: هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وآله ولا يشمل غيره؟

قلنا: لم يختص ذكر الصراط المستقيم على النبي صلى الله عليه وآله بل جاء شاملاً لغيره، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ* وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى**

---

(١) نعني بذلك تطبيق الحق والعدل بدون زلل أو تقصير وهذا لا يكون إلا للمعصوم.

﴿وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ* وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢ – ٨٧).

فإن قلت: جاء في فاتحة الكتاب: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦)، وهي عامة لكل الناس وغير خاصة بالمعصوم.

قلنا: هذه الآية وردت بصيغة الدعاء يعني بصيغة الإنشاء لا الإخبار. يعني أننا نتمنى أن تهدنا الصراط المستقيم، وأما الآيات المتقدمة فإنها تخبر عن حصول أولئك الأشخاص على الصراط المستقيم وهم المعصومون.

الثاني: الإخلاص والاجتباء

قال في الصحاح: (خَلَصَ الشيءُ بالفتح يَخْلُصُ خُلوصاً، أي صار خالِصاً. وخَلَصَ إليه الشيءُ: وصَلَ. وخلَّصْتُهُ من كذا تَخْليصاً، أي نجّيته فتَخَلَّصَ. وخُلاصَةُ السمن بالضم: ما خَلَص منه. والمصدر منه الإخلاصُ. وقد أَخْلَصْتُ السمنَ. والإخْلاصُ أيضاً في الطاعة: تَرْكُ الرياء. وقد أَخْلَصْتُ لله الدينَ. وخالَصَهُ في العِشرة، أي صافاه. وهذا الشيءُ خالِصَةً لك، أي خاصَّةً. وفلانٌ خِلْصي، كما تقول: خِدْني، وخُلْصاني، أي خالِصتي. وهم خُلْصاني، يستوي فيه الواحد والجماعة. واسْتَخْلَصَهُ لنفسه، أي اسْتَخَصَّهُ)[1].

---

(١) صحاح الجوهري ج٣، ص١٠٣٧، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة: الرابعة سنة الطبع: ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م المطبعة، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.

وقد صرح القرآن الكريم بأن أنبيائه عليهم السلام مُخلَصين ومُخلِصين.

أما المخلَص بالفتح: فهو صيغة أسم المفعول أي: الذي وقع عليه الإخلاص، وأما المخلِص بالكسر: فهو صيغة أسم الفاعل أي: هو الذي صدر منه الإخلاص، والقرآن تارة يعبر عنهم (المخلَصين) وتارة (المخلِصين).

قال تعالى في بيان حال المخلصين بالفتح: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنْ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ**﴾ (ص: ٤٥ – ٤٧).

وقال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنْ الْمُنْظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ (الحجر: ٣٦ – ٤٠).

وقال تعالى في بيان حال المخلصين بالكسر: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: ١٤٦).

أما الاجتباء، قال الخليل: (و اجتبى الرجل الرجل، إذا قرَّبه، قال الله تعالى: فاجتباه ربه أي: قرَّبه)[1].

قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ**

(١) العين، للخليل بن احمد الفراهيدي ج٦، ص١٩٢، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي –الدكتور ابراهيم السامرائي. الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٠ المطبعة، الناشر: مؤسسة دار الهجرة.

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٨٧).

الثالث: الأسوة والقدوة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١).

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَه﴾ (الممتحنة: ٤).

فالآية تأمر بالإقتداء بهم عليهم السلام، والأقتداء لا يكون إلاّ بالكامل، فكيف نُؤمَر أن نقتدي بهم لو كانوا غير كاملين وغير معصومين؛ لأن اقتداء الناقص بالناقص لا يؤدي إلى الكمال، فلابد حينئذ من كمال هذه الأسوة والقدوة حتى يصح توجيه القرآن الكريم للناس للإقتداء بهم.

الفصل الثاني

- أولوا العزم
- الدفاع عن أنبياء أولوا العزم عليهم السلام

أولوا العزم

لاشك أن هناك تفاوت بين الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ (الإسراء: ٥٥).

وكذلك الرسل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣).

إلا أن أفضل الأنبياء والمرسلين لُولوا العزم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب: ٩) فميثاقهم أغلظ من سائر الأنبياء والمرسلين فليس كل الأنبياء تحمَّلوا هذا الميثاق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه: ١١٥)، وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام والحسن بن محبوب عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام، قالا: «من أحب أن يصافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام في النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أولوا العزم من الرسل». قلنا: من هم؟ قال: «نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين». قلنا له: ما معنى أولوا العزم؟ قال: «بعثوا إلى شرق الأرض وغربها، جنّها وإنسها»[1].

---

(١) كامل الزيارات، ابن قولويه القمي ص ٣٣٤، رواه الشيخ في التهذيب ج٦، ص ٤٨ والمصباح: ص ٧٦١، عنهم البحار ج١٠١، ص ٩٣، الوسائل ١٤، ٤٦٧، المستدرك ج١٠، ص ٢٨٨.

وفي تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الاحقاف: ٣٥) و هم نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى بن مريم.

ومعنى أولي العزم إنهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله، و أقروا بكل نبي كان قبلهم و بعدهم و عزموا على الصبر مع التكذيب لهم و الأذى)[١].

وفي الكافي بإسناده عن ابن أبي يعفور قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سادة النبيين و المرسلين خمسة: و هم أولوا العزم من الرسل و عليهم دارت الرحى: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وآله و على جميع الأنبياء)[٢].

وفي العيون عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: (إنّما سمي أولوا العزم أولي العزم؛ لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكل نبي كان في أيام إبراهيم كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى، وكل نبي كان في زمن موسى كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيام عيسى وكل نبي كان في أيام عيسى وبعده كان على شريعة عيسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله فهؤلاء الخمسة أولوا العزم، وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام وشريعة محمد لا تنسخ إلى يوم

أقول: إن هذه الرواية تشير إلى معنى من معاني أولي العزم لا كل المعنى، فهي تبين إنهم بعثوا إلى جميع الناس، وإلاّ فإن العزم له معنى آخر غير ما ذكرته الرواية.

(١) تفسير القمي لعلي بن ابراهيم ج٢، ص٣٠٠.

(٢) الكافي للكليني ج١، ص١٧٥.

القيامة، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة فمن ادعى بعده النبوة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه)[١].

بحث في معنى (أولوا العزم)

قال في الأمثل[٢]:

(العزم) بمعنى الإرادة الصلبة القوية، ويقول الراغب في مفرداته:(إن العزم هو عقد القلب على إمضاء الأمر).

وقد استعملت كلمة العزم في مورد الصبر في آيات القرآن المجيد أحيانا، كقوله تعالى: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ (الشورى: ٤٣).

وجاءت أحيانا بمعنى الوفاء بالعهد، كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ (طه: ١١٥).

لكن بملاحظة أن أصحاب الشرائع والأديان الجديدة من الأنبياء قد ابتلوا بمشاكل أكثر، وواجهوا مصاعب أشد، وكانوا بحاجة إلى عزم وإرادة أقوى وأشد لمواجهتها، فقد أطلق على هذه الفئة من الأنبياء (أولو العزم). والآية مورد البحث إشارة إلى هذا المعنى ظاهراً، وهي تشير ضمنا إلى أن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله من هذه الفئة؛ لأنها تقول: فاصبر كما صبر أولو العزم.

وإذا كان البعض قد فسر العزم والعزيمة بمعنى الحكم والشريعة فمن هذه

---

(١) عيون أخبار الرضا، للشيخ الصدوق ج٢، ص٨٦.

(٢) الامثل في كتاب الله المنزل، ج١٦، ص٣٠٤.

الجهة، وإلا فإن كلمة العزم لم تأت في اللغة بمعنى الشريعة).

وقال في الميزان[١]:

(إن معنى العزم فيهم الثبات على العهد الأول المأخوذ منهم وعدم نسيانه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب: ٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه: ١١٥).

وكل واحد من هؤلاء الخمسة صاحب شرع وكتاب، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى: ١٨ – ١٩).

---

(١) الميزان في تفسير القران ج٢، ص١٤٢.

الآيات المتعلقة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله

يوجد جملة من الآيات الكريمة تنسب للنبي صلى الله عليه وآله ماهو مخالف للعصمة ومقام النبوة

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٤٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ١٠٦).

وقال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة: ١٤٧).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥).

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (يونس: ٩٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (يونس: ٩٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يونس: الآية: ١٠٥.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب: ١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ الإنسان: الآية: ٢٤.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الجاثية: ١٨).

وقال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ *وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدثر: ٥ – ٦).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (القلم: ٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ (القلم: ١٠).

وقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ

آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥).

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٨٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٢).

وقال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ١٣١).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاء مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ (هود: ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥ – ١٠٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (السجدة: ٢٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

الجواب:

هذه الآيات الكريمة وإن كان الخطاب موجهاً إلى الرسول صلى الله عليه وآله لكن المقصود منه العموم، أي إياك أعني واسمعي ياجارة، وهو مثل قديم للعرب، والمقصود من المثل إنَّه يخاطب شخصاً ويريد غيره:

يا نفس وعظي لك بالإشارة إياك أعني واسمعي يا جارة

وقد أشارت الروايات إلى هذا المعنى: عن علي بن محمد بن الجهم، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام مما سأله المأمون، فقال له: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ

﴿الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة: ٤٣). قال الرضا عليه السلام: «هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة خاطب الله عز وجل بذلك نبيه صلى الله عليه وآله، وأراد به أمته... »[١].

هذا مضافا إلى أن بعض الآيات ذُكر فيها أداة الشرط يعني إن فعلت كذا تكون كذا. ولما لم يفعله النبي فلا يكون مشمولاً بها، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

وهذه الآية التي استشهد بها الإمام الرضا عليه السلام، وهو قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة: ٤٣). لها قصة وسبب للنزول، وذلك حين أذن النبي صلى الله عليه وآله للبعض في التخلف عن معركة تبوك، عاتبه الله تعالى على ذلك حتى تنكشف سرائر المنافقين، فالمراد من الكلام كشف هذه الدعوى لا الكشف عن تقصيره صلى الله عليه وآله، والآية بدأت بالعفو قبل العتاب، ولم يكن تقريع له صلى الله عليه وآله بل عتاب من الحبيب إلى حبيبه.

قال الشيخ السبحاني في كتابه (عصمة الأنبياء في القران الكريم): (والآية تصرّح بعفوه سبحانه عنه كما يقول: (عَفَا اللهُ عَنْكَ) كما تتضمن نوع اعتراض على النبي حيث أذن لهم في عدم الاشتراك، كما يقول سبحانه: ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ وعندئذٍ يفرض هذا السؤال نفسه:

ألف: كيف يجتمع العفو مع العصمة؟

---

(١) تفسير البرهان ج ٣، ص٥٦٢.

ب: ما معنى الاعتراض على إذن النبي؟

أقول: أمّا الجملة الأُولى: فتوضيحها بوجهين:

الأوّل: إنّها إنّما تدل على صدور الذنب -على فرض التسليم- إذا كانت جملة خبرية حاكية عن شمول عفوه سبحانه للنبي في الزمان الماضي، وأمّا إذا كانت خبرية ولكن أُريد منها الإنشاء وطلب العفو، كما في قوله: (أيّدك الله) (غفر الله لك) فالدلالة ساقطة إذ طلب العفو والمغفرة للمخاطب نوع دعاء وتقدير وتكريم له.

الثاني: ليس على أديم الأرض إنسان يستغنى عن عفوه ومغفرته سبحانه حتى الأولياء والأنبياء؛ لأنّ الناس بين كونهم خاطئين في الحياة الدنيا وكونهم معصومين، ووظيفة الكل هي الاستغفار.

أمّا الطائفة الأُولى فواضحة، وأمّا الثانية فلوقوفهم على عظمة الرب وكبر المسؤولية، وأنّ هنا أُموراً كان الأليق -بالنسبة إلى مستواهم- تركها أو الإتيان بها، وإن لم يأمر بها الرب أمر فرض أو لم ينه عنها نهي تحذير، والمترّقب منهم غير المترقب من غيرهم.

ولأجل ذلك كان الأنبياء يستغفرون كل يوم وليلة قائلين: «ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك».

وحاصل الوجهين: إنّ طلب العفو نوع تكريم واحترام للمخاطب بصورة الدعاء، وليس إخباراً عن واقعة محقّقة حتى يستلزم صدور ذنب من المخاطب. هذا من جانب، ومن جانب آخر أنّ كل إنسان مهما كان في الدرجة العالية من التقوى يرى في أعماله حسب عرفانه واستشعاره عظمة الرب وكبر المسؤولية،

أنّ ما هو الأليق خلاف ما وقع منه، فتوحي إليه نفسه الزكية طلب العفو والمغفرة لإزالة آثار هذا التقصير في الآجل والعاجل.

وأمّا الجملة الثانية: فلا شك إنّها تتضمن نوع اعتراض على النبي صلى الله عليه وآله لكن لا على صدور ذنب أو خلاف منه؛ بل لأنّ إذنه كان مفوتاً لمصلحة له، وهو معرفة الصادق في إيمانه من الكاذب في ادّعائه، كما يعرب عنه قوله: ﴿**حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ**﴾ (التوبة: ٤٣).

توضيحه: أنّ المنافقين كانوا مصمّمين على عدم الخروج مع المؤمنين إلى غزو الروم، وكان لهم تخطيط في غياب النبي صلى الله عليه وآله أبطله النبي صلى الله عليه وآله بتخليفه علياً مكانه، قال سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾ (التوبة: ٤٦).

والآية تدلُّ على أنّهم كانوا عازمين على الإقامة في المدينة، وكان الاستئذان نوع تغطية لقبح عملهم حتى يتظاهروا بأنّ عدم ظعنهم مع المؤمنين كان بإذن من النبي صلى الله عليه وآله.

ومن جانب آخر أنّهم لو خرجوا مع المسلمين ما زادوهم إلاّ فتنة وخبالاً وإضعافاً لعزائم المؤمنين، وفيهم سمّاعون لهم يتأثرون بدعاياتهم وإغوائهم كما يقول سبحانه: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ (التوبة: ٤٧).

وبما أنّهم كانوا عازمين على القعود أوّلاً، وعلى الإضرار والفتنة في جبهات الحرب ثانياً؛ لذلك لم يكن في الإذن أيّة تبعة سوى فوت تميّز الخبيث من الطيب، ومعرفة المنافق من المؤمن، إذ لو لم يأذن لهم لظهر فسقهم وتمردهم

على كلام النبيﷺ، ومثل هذا لا يعد عمل خلاف حتى يكون الاعتراض عليه دليلاً على صدور الذنب.

ولو كانت المخطّئة عارفة بأساليب البلاغة وفنون الكلام لعرفت أنّ أسلوب الكلام في الآية أسلوب عطف وحنان، وأشبه باعتراض الولي الحميم على الصديق الوفي إذا عامل عدوه الغاشم بمرونة ولين، فيقول بلسان الاعتراض: لماذا أذنت له ولم تقابله بخشونة حتى تعرف عدوك من صديقك، ومن وفى لك ممّن خانك على أنّه وإن فات النبي معرفة المنافق عن هذا الطريق لكنه لم يفته معرفته من طريق آخر صرّح به القرآن في غير هذا المورد فإنّ النبي الأكرم كان يعرف المنافق من المؤمن بطريقين آخرين:

١. كيفية الكلام، ويعبّر عنه القرآن بلحن القول، وذلك أنّ الخائن مهما أصر على كتمان خيانته تظهر بوادرها في ثنايا كلامه، قال أمير المؤمنينعليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾ (محمد: ٣٠).

٢. التعرّف عليهم بتعليم منه سبحانه، قال: ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ (آل عمران: ١٧٩).

والدقة في الآية تفيد بأنّ الله سبحانه يجتبي من رسله من يشاء ويطلعه على الغيب، ويعرف من هذا الطريق الخبيث ويميّزه عن الطيب.

وعلى ذلك فلم يفت على النبي الأكرم شيء، وإن فاتته معرفة المنافق من

هذا الطريق، ولكنّه وقف عليها من الطريق الآخر أو الطريقين الآخرين)[١].

هل كان في صدر النبي صلى الله عليه وآله حرج من التبليغ؟

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (هود: ١٢).

الجواب:

المعنى إنه كان يضيق صدره لا من الأمانة والتبليغ بل من المشركين حيث كان يخاف أن يكذبوه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (الحجر: ٩٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: ٥).

أي: ثقيل على المشركين؛ لأن القرآن يستهدف معتقداتهم التي كانوا عليها جيلاً بعد جيل.

---

(١) عصمة الأنبياء في القران الكريم للشيخ جعفر سبحاني ص٢١٥.
أقول: ذكرنا تفسيراً وتأويلاً لهذه الآية واشبعنا الكلام فيها من باب المثال، وعليه يمكن تأويل وتفسير باقي الآيات مورد الاشكال على هذا السياق، ويمكن مراجعة الكتاب المذكور لمعرفة تفاصيل باقي الآيات حتى لا يطول بنا المقام.

هل النبي صلى الله عليه وآله كاد يركن للمشركين؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الاسراء: ٧٣ – ٧٦).

الجواب:

(... التثبيت كما يفيده السياق هو: العصمة الإلهية وجعل جواب لولا قوله: ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ﴾ دون نفس الركون، والركون هو: الميل أو أدنى الميل كما قيل. دليل على أنّه صلى الله عليه وآله لم يركن ولم يكَد، ويؤكده إضافة الركون إليهم دون إجابتهم إلى ما سألوه، ولولا أن ثبتناك بعصمتنا دنوت من أن تميل إليهم قليلا لكنّا ثبتناك فلم تدن من أدنى الميل إليهم فضلا من أن تجيبهم إلى ما سألوا فهو صلى الله عليه وآله لم يجبهم إلى ما سألوا ولا مال إليهم شيئا قليلا ولا كاد أن يميل...)[1]، وهو أشبه ما ورد في قصة يوسف عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(يوسف: ٢٤).

أي: لو لم تكن معصوماً لهممت بها.

وهي واضحة في كونها شرطية متوقفة على تحقق شرطها، ولم يتحقق كما

---

(١) الميزان ج ١٣، ص١٧٣.

هو واضح.

لماذا كان النبي صلى الله عليه وآله يعجل بالقرآن؟

وهو قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

الجواب:

(... كان النبي يتابع جبريل في قراءة الوحي خوفاً أن يفوته شيء منه، فأمره تعالى أن يصغي ولا يتابع ولا يخشَ النسيان، وفي الآية ٦ من الأعلى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى﴾ وهنا (لا) النافية وليست ناهية أي: لن تنسى أبدا...)[1].

قال في المجمع:

(أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك و قيل معناه سيقرأ عليك جبريل القرآن بأمرنا فتحفظه و لا تنساه، قال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام بالوحي يقرأه مخافة أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك)[2].

ومعنى قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ من قبل أن يتم وحيه من ملك الوحي، فيفيد أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا جاءه الوحي بالقرآن يعجل بقراءة ما يوحى إليه قبل أن يتم الوحي فنهي عن أن يعجل في قراءته قبل

(١) التفسير المبين، محمد جواد مغنية ص٤١٧.

(٢) مجمع البيان، للشيخ الطبرسي ج١٠، ص٣٢٩.

انقضاء الوحي وتمامه فتكون الآية في معنى قوله تعالى في موضع آخر: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ*فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٦ – ١٧ – ١٨).

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤). فإن سياق قوله: لا تعجل به، وقل رب زدني يفيد أن المراد هو الاستبدال، أي: بدل الاستعجال في قراءة ما لم ينزل بعد طلبك زيادة العلم، ويؤول المعنى إلى أنك تُعجِل بقراءة ما لم ينزل بعد؛ لأن عندك علماً به في الجملة لكن لا تكتف به واطلب من الله علماً جديداً بالصبر واستماع بقية الوحي[1].

هل كان النبي صلى الله عليه وآله ينسى وكيف؟

وهو قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ (الأعلى: ٦ – ٧).

الجواب:

اللام هنا لام النافية لا اللام الناهية، أي: كل ما ستقرؤه لم ولن تنساه. وقد تقدم تفصيله في السؤال أعلاه.

هل كان النبي صلى الله عليه وآله قليل الصبر؟

وهو قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ

---

(١) الميزان ج ١٤، ص٢١٤.

نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القلم: ٤٨ – ٤٩ – ٥٠).

أو قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الاحقاف: ٣٥).

الجواب:

إن الله تعالى يوصي نبيه صلى الله عليه وآله أن لا يستعجل ويدعو على قومه كما فعل النبي يونس عليه السلام (فأصبر لقاء ربك أن يستدرجهم ويملئ لهم ولا تستعجل لهم العذاب لكفرهم ولا تكن كيونس فتكون مثله وهو مملوء غما أو غيظا ينادي بالتسبيح والإعتراف بالظلم، أي: فأصبر واحذر أن تبتلي بما يشبه ابتلاءه)[1].

وفي هذه الخطابات القرآنية دروس تربوية عالية يوليها الله تعالى لنبيه الخاتم صلى الله عليه واله؛ ليرفعه على الناس جميعا بما فيهم الأنبياء فإنه يجنبه التشبه حتى ببعض الأنبياء لعلو مقامه ورفعة روحه وطهارة ذاته، وهو دليل على احتياج كل الخلق لله تعالى وهدايته بما فيهم سيد الخلق محمد صلى الله عليه واله.

سؤال: هل تقول النبي صلى الله عليه وآله غير الوحي؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٥٤).

---

(١) الميزان ج ١٩، ص٣٨٧.

الجواب:

قال الشيخ السبحاني في بيان هذه الآية وإشكال المخطئة:

(هناك آيات تخاطب النبي بلحن حاد وتنهاه عن اتّباع أهواء المشركين، والشرك بالله والجدال عن الخائنين، وغير ذلك ممّا يوهم وجود أرضية في نفس النبي صلى الله عليه وآله لصدور هذه المعاصي الكبيرة عنه، وإليك هذه الآيات مع تحليلها:

١. ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**﴾ وقد جاءت الآية في نفس هذه السورة بتفاوت في الذيل، فقال بدل قوله: ﴿**مَالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ ولا نَصِير**﴾، ﴿**إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ كما جاءت أيضاً في سورة الرعد غير أنّه جاء بدل قوله: (ولا نصير ولا واق).

وعلى أي حال فقد تمسّكت المخطّئة بالقضية الشرطية على أرضية متوقعة في نفس النبي لاتّباع أهوائهم وإلاّ فلا وجه للوعيد.

ولكن الاستدلال على درجة من الوهن إذ لا تدل القضية الشرطية إلاّ على الملازمة بين الشرط والجزاء، لا على تحقّق الطرفين، ولا على إمكان تحقّقهما، وهذا من الوضوح بمكان، قال سبحانه: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا**﴾ وليس فيها أيّ دلالة على تحقّق المقدّم أو التالي)[1].

---

(١) عصمة الأنبياء في القران الكريم، للشيخ جعفر السبحاني ص٢٠٨، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٠ المطبعة: اعتماد – قم الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام – قم – ايران.

ورد في جملة من الآيات الكريمة ذكر مفردة الذنب والتوبة والمغفرة في النبي صلى الله عليه وآله، فكيف ينسجم هذا مع العصمة؟

وهو قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (محمد: ٢).

الجواب:

اختلف المفسرون في هذا المعنى وكثرت فيه الأقوال، ولا يمكن قبول أي رأي ينسب الذنب إليه صلى الله عليه وآله، والجواب على التساؤل نذكر رواية عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: الأنبياء معصومون؟ قال: بلى: وذكر المأمون الآيات التي في الأنبياء إلى أن قال المأمون: فأخبرني - يا أبا الحسن - عن قول الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّه ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ﴾.

فقال الرضا عليه السلام: «لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنبا من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه السلام؛ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة وستين صنما، فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ* وانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا واصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ* ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ﴾(ص: ٥ - ٧) فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكة، قال له يا محمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح: ١)؛ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

(الفتح: ٢) مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر؛ لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم من مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد إذا دعي الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفورا بظهوره عليهم. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن[1].

وأما قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ*وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (التوبة: ١١٧ – ١١٨).

والإشكال في أن التوبة وردت في هذه الآيات في موردين: الأول في حال النبي والذين آمنوا معه، والثاني: في حال الذين تخلفوا عنه فكيف يستقيم ذلك؟

الجواب:

الآية الأولى واضحة المعنى من خلال السياق: ﴿**الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾ فبما أنّهم ثبتوا ساعة العسرة رحمهم ورضا عنهم، إذن التوبة هنا الرحمة والرضوان.

قال في تفسير الأمثل:

---

(١) تفسير البرهان ج ٤، ص٦٤٢.

(المراد من توبة الله على النبي صلى الله عليه وآله:

قرأنا في الآية الأولى أن الله سبحانه قد تاب على النبي صلى الله عليه وآله والمهاجرين والأنصار وقبل توبتهم، ولا شك أن النبي معصوم من الذنوب ولم يرتكب معصية ليتوب فيقبل الله توبته، وإن كان بعض مفسري العامة قد اعتبروا التعبير في هذه الآية دليلاً على صدور السهو والمعصية من النبي صلى الله عليه وآله في أحداث تبوك.

إلا أن التدقيق في نفس هذه الآية وسائر آيات القرآن سيرشدنا إلى عدم صحة هذا التفسير؛ لأن:

أولا: إن معنى توبة الله سبحانه رجوعه بالرحمة والرعاية على عباده، ولا يوجد في هذا المعنى أثر للزلل أو المعصية، كما قال في سورة النساء بعد ذكر قسم من الأحكام: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكمْ وَيَهْدِيَكمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكيمٌ**﴾[1]، ففي هذه الآية والتي قبلها لم يرد حديث عن الزلل والمعصية بل الكلام -عن تبيين الأحكام والإرشاد إلى سنن الماضين القيّمة المفيدة، وهذا بنفسه يوضح أن التوبة هنا بمعنى شمول رحمة الله سبحانه لعباده.

ثانيا: لقد ورد في كتب اللغة أن أحد معاني التوبة هو ما ذكرناه، ففي كتاب (القاموس) المعروف ورد أن هذا هو أحد معاني التوبة ما لفظه: رجع عليه بفضله وقبوله.

ثالثا: إن الآية تحصر الانحراف عن طريق الحق والتخلّف عنه بجماعة من

---

(١) النساء: ٢٦.

المؤمنين مع أنها تصرّح بأن الرحمة الإلهية تعم الجميع، وهو بنفسه يبين أن توبة الله هنا ليست بمعنى قبول عذر العباد بل هي: الرحمة الإلهية الخاصة التي أدركت النبيﷺ وكل المؤمنين بدون استثناء في اللحظات الحساسة، وثبتت أقدامهم في أمر الجهاد)[١].

وأما الآية الثانية: ﴿**وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (التوبة: ١١٨).

الثلاثة الذين ثبتوا ساعة العسرة هم: أبو ذر وأبو خيثمة وعميرة بن وهب. وأما الثلاثة الذين خالفوا فهم كعب بن مالك وهلال بن أمية وفزارة بن ربيعة، وكلهم من الأنصار وقد آل أمرهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ووسعت -وكان ذلك بسبب أن الناس لم يعاشروهم ولم يكلموهم حتى أهلهم فلم يجدوا أنيسا يأنسون به -وضاقت عليهم أنفسهم -من دوام الغمِّ عليهم -و أيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه بالتوبة والإنابة فلما تابوا وأنابوا تاب الله عليهم، ورجع برحمته إليهم ليتوبوا إليه فيقبل توبتهم إنه هو التواب -كثير الرجوع إلى عباده يرجع إليهم بالهداية والتوفيق للتوبة إليه ثم بقبول تلك التوبة -والرحيم بالمؤمنين)[٢].

وعلى هذا تكون التوبة في الآية الأولى بمعنى الرحمة والرضوان لأنهم

---

(١) تفسير الأمثل ج٦، ص ٢٥٠.

(٢) راجع الميزان ج٩، ص ٤٠٠.

صمدوا ساعة العسرة، وفي الآية الثانية تاب عليهم لأنهم رجعوا بعد تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وآله. فتكون الآية الأولى مستقلة عن الثانية وإن كانتا مشتركتين في اللفظ. (... ولعل الغرض الأصلي بيان توبة الله سبحانه لأولئك الثلاثة المخلفين وقد ضم إليها ذكر توبته تعالى للمهاجرين والأنصار حتى للنبي صلى الله عليه وآله؛ لتطيب قلوبهم بخلطهم بغيرهم وزوال تميزهم من سائر الناس وعفو أثر ذلك عنهم حتى يعود الجميع على نعت واحد وهو أن الله تاب عليهم برحمته فهم فيه سواء من غير أن يرتفع بعضهم عن بعض أو ينخفض بعضهم عن بعض)[1].

وأما قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: ١٩).

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (غافر: ٥٥).

الجواب:

الأمر بالاستغفار من الذنب لا يستدعي وجوده والاستغفار من الذنب محبوب للّه تعالى ومطلوب بالذات سواء أكان هناك ذنب أم لم يكن، والاستغفار هنا بمعنى الدعاء كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «أفضل الذكر لا إله إلَّا اللَّه وأفضل الدعاء أستغفر اللَّه ثمّ تلا صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ﴾»[2].

---

(١) الميزان ج ٩، ص٣٣٩.

(٢) تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (المفسر) ج ٧، ص٧٢.

(يحمل ما حكى تعالى عن عدة من أنبيائه الكرام كقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ (نوح: ٢٨)، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ إبراهيم: ٤١، وقول موسى لنفسه وأخيه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ (الأعراف: ١٥١) فإن الأنبياء عليهم السلام مع عصمتهم لا يتأتى أن تصدر عنهم المعصية ويقترفوا الذنب بمعنى مخالفة مادة من المواد الدينية التي همّ المرسلون للدعوة إليها، والقائمون قولاً وفعلاً بالتبليغ لها و المفترض طاعتهم من عند الله ولا معنى لافتراض طاعة من لا يؤمن وقوع المعصية منه تعالى الله عن ذلك...)[1] وحينئذ جاءت هذه المفردات؛ لتعليم الناس كيفية الأدب في الدعاء كما في فقرات دعاء كميل وغيره، والشعور بالنقص أمام الكمال المطلق.

هل كان الشيطان يؤثر على النبي صلى الله عليه وآله ؟

الجواب:

ذكرنا في قصة أيوب عليه السلام أنه ليس للشيطان أي سلطة على عباد الله المُخلَصين، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٣٩ – ٤١).

---

(١) الميزان ج ٦، ص٣٦٦.

ما معنى ينزغنك الشيطان؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦).

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ٢٠٠).

الجواب:

(إما) إن الشرطية وما الزائدة هو مجرد فرض لمكان أن الشرطية تماما كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر: ٦٥) وبديهة إن فرض المحال ليس بمحال (... معنى الآية إلى أنَّه لو نزغ الشيطان بأعمالهم المبنية على الجهالة وإساءتهم إليك ليسوقك بذلك إلى الغضب والانتقام فاستعذ بالله أنه سميع عليم، والآية مع ذلك عامة خوطب بها النبي صلى الله عليه وآله وقصد بها أمته لعصمته)[1]، وقيل إنها من باب قاعدة إياك أعني وأسمعي ياجارة التي أشرنا إليها سابقاً فيرتفع الإشكال.

ما معنى أن الشيطان يلقي في أمنية الأنبياء؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

(١) الميزان ج ٨، ص ٣٨١.

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (الحج: ٥٢ – ٥٣)؟

الجواب:

روي في سبب نزول هذه الآية أن النبيَّ صلى الله عليه وآله تلا على قريش سورة النجم، ولما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ ألقى الشيطان في تلاوة رسول اللَّه ما نصه بالحرف (تلك الغرانيق العُلى منها الشفاعة ترتجى)، والغرانيق: جمع غرنوق، وهو الحسن الجميل أي: أن هذه الأصنام حسنة وجميلة وترجى شفاعتها عند اللَّه، ونفى العلماء المحققون هذه الرواية وجزموا بأنها من وضع الزنادقة الطاعنين بكتاب اللَّه ونبوة محمد صلى الله عليه وآله واستندوا في ذلك إلى أدلة قاطعة من العقل والنقل. فكيف أن النبي الذي أرسله اللَّه لمحاربة الشرك والأوثان يمتدحها وينعتها بأكمل النعوت والأوصاف؟ كيف ولسان النبي بيان اللَّه وترجمانه، وهل للشيطان من سبيل على هذا البيان القدسي وهذه الترجمة الإلهية؟

والمختار:

(التمني بمعنى القراءة والتلاوة وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا (تلا وقرء) آيات الله ألقى الشيطان شُبهاً مضلة على الناس بالوسوسة؛ ليجادلوه بها ويفسدوا على المؤمنين إيمانهم فيُبطل الله ما يلقيه الشيطان من الشبه ويذهب به بتوفيق النبي لرده أو بإنزال ما يرده)[1]، والدليل على ذلك قوله تعالى

---

(١) الميزان ج ١٤، ص ٣٩١.

في بيان حال بني اسرائيل الذين يقرأون كتاب الله قراءة بلا تدبر وتطبيق ولا يتجاوز تراقيهم حيث قال: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ (البقرة: ٧٨).

قال الشيخ السبحاني:

(ما معنى إلقاء الشيطان في أُمنية الرسل؟

وهذا السؤال هو النقطة الحاسمة في استدلال المخالف، وبالإجابة عليها يظهر وهن الاستدلال بوضوح، فنقول:

إنّ إلقاء الشيطان في أُمنيتهم يتحقّق بإحدى صورتين:

١. أن يوسوس في قلوب الأنبياء ويوهن عزائمهم الراسخة ويقنعهم بعدم جدوى دعوتهم وإرشادهم، وإنّ هذه الأمّة أُمّة غير قابلة للهداية فتظهر بسبب ذلك سحائب اليأس في قلوبهم ويكفّوا عن دعوة الناس وينصرفوا عن هدايتهم.

ولا شك أنّ هذا المعنى لا يناسب ساحة الأنبياء بنص القرآن الكريم؛ لأنّه يستلزم أن يكون للشيطان سلطان على قلوب الأنبياء وضمائرهم حتى يوهن عزائمهم في طريق الدعوة والإرشاد، والقرآن الكريم ينفي تسلل الشيطان إلى ضمائر المخلصين الذين هم الأنبياء ومن دونهم، ويقول سبحانه: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾.

ويقول أيضاً ناقلاً عن نفس الشيطان: ﴿**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾، وليس إيجاد الوهن في عزائم الأنبياء من جانب الشيطان إلاّ إغواءهم المنفي بنص الآيات.

٢. أن يكون المراد من إلقاء الشيطان في أُمنية النبي هو إغراء الناس ودعوتهم إلى مخالفة الأنبياء والصمود في وجوههم حتى تصبح جهودهم ومخططاتهم عقيمة غير مفيدة.

وهذا المعنى هو الظاهر من القرآن الكريم حيث يحكي في غير مورد أنّ الشيطان كان يحض أقوام الأنبياء على المخالفة ويعدهم بالأماني حتى يخالفوهم.

قال سبحانه: ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ إلاّ غُرُوراً**﴾، وقال سبحانه: ﴿**وَقالَ الشَّيْطانُ لَمّا قُضِيَ الأَمْرُ إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ وَوَعَدتُكُمْ فَأخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلاّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلومُوني وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ**﴾.

وهذه الآيات ونظائرها تشهد بوضوح على أنّ الشيطان وجنوده كانوا يسعون بشدة وحماس في حضّ الناس على مخالفة الأنبياء والرسل وكانوا يخدعونهم بالعدَة والأماني، وعند ذلك يتضح مفاد الآية، قال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى**﴾ -أي إذا فكّر في هداية أمّته وخطّط لذلك الخطط وهيّأ لذلك المقدمات -﴿**أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾ بحض الناس على المخالفة والمعاكسة وإفشال خطط الأنبياء حتى تصبح المقدمات عقيمة غير منتجة)[1].

ومن هنا يتبين أن المشكلة والخلل ليس في تلاوة النبي للقران، وإنما في

---

(١) عصمة الأنبياء في القران الكريم، للشيخ جعفر سبحاني، ص٨٢.

تلقي وسماع الناس له؛ لأن الآية الشريفة تقول: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي: إذا قرأ النبي القرآن على الناس بما أنزل عليه دخل الشيطان على الخط وأضاف إليه كلاما يسمعه الناس ليظنوا أنه من كلام الله الذي ألقاه لنبيه.

فإن قلت: هذا يستلزم منه أن الصحابة كانوا يسمعون غير كلام النبي في بعض الأحيان، وهذا يؤدي إلى خلط وخلل لديهم مما يؤدي إلى اعتقادهم بغير القرآن.

قلنا: لا شك أن وسوسة الشيطان لا تكون لكل الصحابة بل لبعضهم ممن ران على قلوبهم ولم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه واله حق الإيمان،فكانوا مشككين بنبوته ورافضين لدعوته سراً في قلوبهم. وإلاّ فإن أمثال عمار وأبي ذر وسلمان وابن عباس وأمثالهم ممن طهرت سريرتهم وصفت قلوبهم لا سلطان للشيطان عليهم.

هل كان النبي صلى الله عليه وآله أميا، أي: إنه لا يجيد القراءة والكتابة، وهل يعد هذا نقصا؟

وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧ – ١٥٨).

الجواب: ذكرت للأمي عدة معانٍ:

منها: أنه كان لا يحسن القراءة والكتابة.

ويرد عليه، أنَّه سُئل أبو جعفر عليه السلام قال: قلت: إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكتب ولا يقرأ.

فقال: «كذبوا لعنهم الله أنّى يكون ذلك وقد قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢) فكيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟!».

قال: قلت: فلمّ سُمي النبي الأمي؟

قال: «نسب إلى مكة، وذلك قوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: ٧) فأم القرى مكة فقيل أمي لذلك»[1].

ومنها: أنه واحد من الأُميين الذين لم ينزل عليهم كتاب؛ لأن أبناء إسماعيل عليه السلام والعرب يسمّون الأُميين في مقابل اليهود أبناء إسحاق الذين كثيراً منهم الأنبياء.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام: الأُميون هم الأمم الذين لم ينزل عليهم

---

(١) تفسير البرهان ج ٢، ص٤٥٢.

كتاب[1] وقد ذُكر هذا المعنى في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾(ال عمران: ٧٥) إذ هم لا يقصدون الأمي الذي لا يحسن الكتابة والقراءة بل كل العرب؛ لعدم بعث الأنبياء منهم إلى زمانه صلى الله عليه وآله.

ومنها: كونه صلى الله عليه وآله أمّياً بمعنى أنّه صلى الله عليه وآله بعقله الكلّي أمّ الأقلام وبنفسه الكلّية أمّ الكتاب ولا يخفى أنّ المعنى الأخير أدقّ وأرقّ وفقاً للمشارب العرفانية.

مضافا إلى ذلك أن عدم الوقوع لا يلزم عدم الإمكان بل إنه مُنع حتى لا يُتهم، أو أنه صلى الله عليه وآله لم يعهد منه أنَّه كان يكتب ويقرأ أمام الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٨).

(والمعنى وما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتابا ولا كان من عادتك أن تخط كتابا وتكتبه... واستمريت على ذلك وعرفوك على هذه الحال لمخالطتك لهم ومعاشرتك معهم فلم يبق محل ريب لهم في أمر القرآن النازل إليك أنه كلام الله تعالى، وليس تلفيقا لفقته من كتب السابقين ونقلته من أقاصيصهم وغيرهم حتى يرتاب المبطلون ويعتذروا به. قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٩) إضراب عن مقدّر يستفاد من الآية السابقة كأنه لما نفى عنه صلى الله عليه وآله التلاوة والخط معاً تحصل من ذلك أن القرآن ليس بكتاب مؤلف

---

(١) مجمع البيان ج ١، ص ٢٩٠.

مخطوط فأضرب عن هذا المقدر بقوله: ﴿بَلْ هُوَ - أي: القرآن - آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾...)[1]. أضف إلى ذلك وهو أن الكتابة والقراءة عبارة عن معرفة الحروف، والمعصوم علمه حضوري لدنّي من الله تعالى فكيف لايعرف القراءة والكتابة؟!.

كيف لا يعلم الغيب، أليس الوحي من الغيب؟

وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: الآية: ١٨٨.

وقال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٣١).

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة: ١٠١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

---

(١) الميزان ج ١٦، ص١٣٩.

الجواب:

المراد من الغيب في هذه الآيات الغيب الذي يختص بالله تعالى ولا يمكن لأحد أن يطّلع عليه، كما قال تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾(الأنعام: ٥٩) وقال تعالى: ﴿**فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ**﴾(يونس: ٢٠) وقال تعالى: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾(النمل: ٦٥)، وغيرها من الآيات التي تفيد أن الغيب مختص بالله تعالى ولا يطلع عليه أحد، ولكن في قبال هذه الآيات الكريمة آيات تصرّح بجواز الاطلاع على الغيب كما في قوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾(الجن: ٢٦ – ٢٧) إذ لا مانع –وبصريح هذه الآية –أن يُطلع الله تعالى غيبه على من ارتضاه من الرسل فهو تعالى يعلم الغيب لذاته، وغيره يعلمه بتعليم من الله تعالى.

وبعبارة أُخرى عدم اطلاع أحد على غيبه تعالى عموم، وقوله: ﴿**إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ تخصيص للعام، والطائفة الأولى من الآيات تنفي علم الغيب المطلق لا مطلق الغيب، كما في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**﴾ (يوسف: ١٠٢) فليس لأحد من نبي أو رسول فضلاً عن غيره أن يطلع على غيب الله تعالى على نحو الاستقلال بل بتعليم الله تعالى له وقد أخبرنا أنه أطلعه على من يرتضيه من الرسل.

كيف يستغفر النبي صلى الله عليه وآله للمشركين، وقد نهي عن ذلك؟

وهو قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ**

مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٨٠).

الجواب:

قد يقول قائل: إن اللَّه سبحانه ترك الخيار لنبيه في أن يستغفر للمشركين أو لا يستغفر لهم؛ لأن (أو) في الآية للتخيير.

وهذا لا يمكن قبوله، فإن قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ دليل قاطع على أنه لا سبيل لهم إلى العفو والمغفرة فلا خيار في البين.

وعليه تكون (أو) للتسوية لا للتخيير، والمعنى سواء سئلت المغفرة في حقهم أو لم تسأل، وسواء كان الاستغفار مرة أو مرات قليلاً أو كثيراً فلن يغفر الله لهم، والمانع من المغفرة لأنهم أشركوا وكفروا؛ ولذا قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة: ١١٣).

ما معنى أن النبي ﷺ كان من الغافلين؟

وهو قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: ٣).

الجواب:

ليس المراد من الغفلة هنا عن ذكر الله تعالى أو شيء من هذا القبيل بل غافل عن علم الله تعالى أو غافل عن قصة يوسف وما جرى عليه، وهو أمر

طبيعي لا تعارض بينه وبين العصمة؛ لأننا قلنا فيما سبق أن علم النبي بالغيب متوقف على تعليم الله له وهذا من تعليمه.

هل أخلف النبي صلى الله عليه وآله وعده مع المشركين بنزول العذاب؟

وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (الاسراء: ٩٢).

الجواب:

لم يعدهم النبي صلى الله عليه وآله بأنه سوف يخسف بهم الأرض وإنّما أخبرهم بقدرة الله تعالى، وهم بذلك يُشيرون إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ﴾ (سبأ: ٩)، فلا وعد في البين.

هذا مضافاً إلى أن نزول العذاب لا يكون باقتراح وطلب من الكفار بل إن ذلك راجع الى الحكمة الإلهية.

ويضاف إلى ذلك جواب ثالث وهو: أن العذاب لا ينزل عليهم مادام رسول الله صلى الله عليه وآله بين ظهرانيهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣).

كيف يخشى النبي صلى الله عليه وآله غير الله تعالى؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: ٣٧).

الجواب:

روي عن الإمام الرضا عليه السلام حديث طويل نأخذ منه موضع الحاجة، قال: «... وقول الله تعالى: ﴿**وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّه مُبْدِيه وتَخْشَى النَّاسَ واللَّه أَحَقُّ أَنْ تَخْشاه**﴾ فإن الله تعالى عرّف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في دار الآخرة، وهن أمهات المؤمنين وإحداهن -من سمى له -زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى رسول الله صلى الله عليه وآله إسمها في نفسه ولم يبده؛ لكي لا يقول أحد من المنافقين أنه قال في إمرأة في بيت رجل أنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين وخشي قول المنافقين، فقال الله تعالى: ﴿**وتَخْشَى النَّاسَ واللَّه أَحَقُّ أَنْ تَخْشاه**﴾ يعني في نفسك، وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله، بقوله: ﴿**فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها**﴾... »[1] والخشية بمعنى الاستحياء، أي: تخشى تعييرهم إياك به، والعتاب هنا مسوق لانتصاره وتأييده، كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ**﴾(الأحزاب: ٣٩) فالخشية من أجل الله حتى لا يطعنوا بالرسول والرسالة.

---

(١) تفسير البرهان ج ٤، ص٤٧٢.

هل كان النبي صلى الله عليه وآله على ضلال؟

وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الأعلى: ٦ - ١٠).

الجواب:

اختلف المفسرون فيما هو المراد بالضلال هنا، وقد أنهى الرازي أقوالهم إلى عشرين قولا!. أقربها إلى الصواب والواقع إن النبي صلى الله عليه وآله كان حائرا في أمر قومه وضلالهم في عقائدهم وتقاليدهم وفساد أعمالهم وجهلهم وتفرق كلمتهم، ولا يدري ما هو السبيل إلى هدايتهم حتى نزل عليه الوحي فيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة للعالمين، فضلال النبي صلى الله عليه وآله حيرته كيف يهدي قومه الكافرين، وهداه نزول القرآن عليه[1]. فالضلال هنا بمعنى الحيرة.

ورويَّ عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى﴾ إليك الناس ﴿ووَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى﴾ أي: هدى إليك قوما لا يعرفونك حتى عرفوك ﴿ووَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى﴾ أي: وجدك تعول أقواما فأغناهم بعلمك »[2].

ورويَّ عن الإمام الرضا عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام للمأمون وقد قال الله عزّ وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى﴾ يقول ألم يجدك

---

(١) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية ج ٧، ص٥٩٧.

(٢) تفسير البرهان ج ٥، ص٦٨٤.

وحيدا فآوى إليك الناس ﴿ووَجَدَكَ ضَالًّا﴾ يعنى عند قومك ﴿فَهَدى﴾ أي: هداهم إلى معرفتك ﴿ووَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى﴾ يقول: بأن جعل دعاك مستجاباً. قال المأمون: بارك الله فيك يا بن رسول الله[1].

وهو الحق كما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم: ٢).

وهنا معنى آخر ذكره أهل السيّر وهو أنه صلى الله عليه واله ضلّ طريقه إلى مكة عندما كان صغيراً فهداه الله إلى جده بعد أن ضاع في شعاب مكة.

وهناك وجه آخر ذكره الشيخ السبحاني حيث قال:

وهناك احتمال ثالث لا يقصر عمّا تقدمه من احتمالين، وهو أن تكون

(الضلالة في الآية مأخوذة من «ضل الشيء إذا خفى وغاب عن الأعين» قال سبحانه: ﴿أإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فالإنسان الضال هو الإنسان المخفي ذكره المنسي إسمه لا يعرفه إلاّ القليل من الناس ولا يهتدي كثير منهم إليه، ولو كان هذا هو المقصود يكون معناه أنّه سبحانه رفع ذكره وعرّفه بين الناس عندما كان خاملاً ذكره منسياً إسمه، ويؤيد هذا الاحتمال قوله سبحانه في سورة الانشراح التي نزلت لتحليل ما ورد في سورة الضحى، قائلاً: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فرفع ذكره في العالم عبارة عن هداية الناس إليه ورفع الحواجز بينه وبين الناس، وعلى هذا فالمقصود من «الهداية» هو: هداية الناس إليه لا هدايته، فكأنّه قال: فوجدك ضالاً خاملاً ذكرك باهتاً إسمك، فهدى الناس

---

(١) تفسير نو الثقلين ج ٥، ص٥٩٦.

إليك وسيّر ذكرك في البلاد)[١].

ما معنى الوزر في الآية؟

وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ*وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ*الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (الشرح: ١ – ٣).

الجواب:

ذُكرت كثيراً من الوجوه بعضها ضعيفة وبعضها سخيفة كما روي من طرق العامة (وإن ملكين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبا به إلى زمزم فشقا بطنه فأخرجا حشوته في طست من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم كبسا جوفه..)[٢]

والمختار:

شرحنا لك صدرك بوضع وزر الرسالة السماوية، ومن خلال السياق نفهم أن المراد من الوزر هنا الحمل الثقيل، وعبّر عن الوزر بالثقل، وقيل: للإثم وزر على التمثيل كما في اللغة[٣].

وقد قيل: «الوزر» بمعنى الثقل، ومنها «الوزير» الذي يحمل أعباء الدولة، وسمّيت الذنوب «وزراً»؛ لأنّها تثقل كاهل صاحبها.

---

(١) عصمة الأنبياء في القران الكريم، للشيخ جعفر سبحاني ص٢٧٦.

(٢) كنز العمال المتقي الهندي ج ١٢، ص٤٤٩.

(٣) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٥٢١، (وزر)، ومعاني القرآن، النحاس ج ٤، ص٦٢، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٩، الناشر: جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية.

وقيل أيضاً: أنّ «الوزر» يعني ثقل «الوحي» في بداية نزوله.

وقيل: إنّه عناد المشركين وتعنتهم.

وقيل: إنّه أذاهم.

وقيل: إنّه الحزن الذي ألمّ بالنّبي لوفاة عمّه أبي طالب وزوجه خديجة.

وقيل: أيضاً إنّه العصمة وإذهاب الرجس.

والظاهر أنّ التّفسير الأوّل أنسب من غيره، والتفاسير الأُخرى تفريع من التّفسير الأوّل.

كيف يقدم النبي صلى الله عليه وآله مرضات المخلوق على مرضات الخالق؟

وهو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ واللَّهُ مَوْلاكُمْ وهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وجِبْرِيلُ وصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ والْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ * عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وأَبْكاراً**﴾ (التحريم: ١ – ٥).

الجواب:

لم يحرم شيئاً بالمعنى الشرعي بل امتنع عنه، وليس بقبيح ولا داخل في

جملة الذنوب فأكثر ما فيه أنه مباح بقرينة: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ وقيل: إنه حلف أن يمتنع عن أمر مباح وكفّر بقرينة: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ روي (... كان رسول الله يذهب أحيانا إلى زوجته زينب بنت جحش فتبقيه في بيتها حتى تأتي إليه بعسل كانت قد هيأته له صلى الله عليه وآله، ولكن لمّا سمعت عائشة بذلك شق عليها الأمر؛ ولذا قالت: إنها قد اتفقت مع حفصة إحدى (أزواج الرسول) على أن يسألا الرسول بمجرد أن يقترب من أي منهما بأنه هل تناول صمغ (المغافير) وهو: نوع من الصمغ يترشح من بعض أشجار الحجاز يسمى (عرفط) ويترك رائحة غير طيبة علماً أن الرسول كان يصر على أن تكون رائحته طيبة دائما، وفعلا سألت حفصة الرسول صلى الله عليه وآله هذا السؤال يوما وردّ الرسول بأنه لم يتناول صمغ (المغافير) ولكنه تناول عسلا عند زينب بنت جحش؛ ولهذا أقسم بأنه سوف لن يتناول ذلك العسل مرة أخرى خوفا من أن تكون زنابير العسل هذا قد تغذت على شجر صمغ (المغافير) وحذرها أن تنقل ذلك إلى أحد لكي لا يشيع بين الناس أن الرسول قد حرم على نفسه طعاما حلالا فيقتدون بالرسول ويحرمونه أو ما يشبهه على أنفسهم أو خوفا من أن تسمع زينب وينكسر قلبها وتتألم لذلك. لكنها أفشت السر فتبيّن أخيراً أن القصة كانت مدروسة ومعدّة فتألم الرسول صلى الله عليه وآله لذلك كثيراً فنزلت عليه الآيات السابقة لتوضح الأمر وتنهى من أن يتكرر ذلك مرة أخرى في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله...)[1].

---

(١) تفسير الأمثل ج ١٨، ص ٤٤٤.

كيف يتصف النبي بهذه الصفات؟

وهو قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى *أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى *أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ عبس: الآيات: ١ - إلى ١٠.

الجواب:

الملاحظ في هذه الآية الكريمة بعض الصفات الذميمة تُنسَب لشخص ولا يمكن قبولها على النبيﷺ بأي شكل من الأشكال.

أما الأولى: العبوس: ﴿عَبَسَ﴾ وهو قبض الوجه، وهو غير جائز شرعاً نعم يجوز له العبوس بوجه المنحرف من باب إظهار الكراهة في حالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما الثانية: التولي وهو الإعراض عن الشخص ﴿وَتَوَلَّى﴾.

الثالثة: التصدي للغني أي: المعيار عنده الغنى! ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾

وأما الرابعة: التلهي: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾.

قال صاحب تفسير القمي: نزلت في عثمان، وابن أم مكتوم وكان ابن أم مكتوم مؤذنا لرسول اللهﷺ وكان أعمى فجاء إلى رسول اللهﷺ وعنده أصحابه، وعثمان عنده فقدمه رسول اللهﷺ على عثمان، فعبس عثمان وجهه وتولى عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وتَوَلَّى﴾ [يعني عثمان] ﴿أَنْ جاءَه الأَعْمى وما

﴿يُدْرِيكَ لَعَلَّه يَزَّكَّى﴾ أي: يكون طاهرا زكيا ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ قال: يذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فَتَنْفَعَه الذِّكْرى﴾ ثم خاطب عثمانا فقال: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنْتَ لَه تَصَدَّى﴾ قال: أنت إذا جاءك غني تتصدى له وترفعه: ﴿وما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ أي: لا تبالي زكيا كان أو غير زكي إذا كان غنيا: ﴿وأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى﴾ يعني: ابن أم مكتوم ﴿وهُوَ يَخْشى فَأَنْتَ عَنْه تَلَهَّى﴾ أي: تلهو ولا تلتفت إليه[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنّها نزلت في رجل من بني أميّة كان عند النبيّ صلى الله عليه وآله فجاء ابن أمّ مكتوم، فلمّا رآه تقذّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه، فحكى اللّه سبحانه ذلك وأنكره عليه... »[2] وما روي خلافه باطل؛ لأن هذه الأخبار معارضة للقرآن الكريم، كما قال الله تعالى: ﴿وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

وقال تعالى: ﴿ولَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

---

(١) تفسير القمي ج٢، ص ٤٠٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي ج ١٠، ص ٢٦٦.

الآيات المتعلقة بالنبي نوح عليه السلام

كيف يمكن لنبي أن يمسك زوجة خائنة؟

وهو قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠).

الجواب:

تتضمن الآيات الشريفة تحذيرا لكل المؤمنين بأن القرب من أولياء الله والانتساب إليهم لا يكفي لمنع نزول عذاب الله ومجازاته.

وعلى أية حال فإن هاتين المرأتين خانتا نبيين عظيمين من أنبياء الله.

والخيانة هنا لا تعني الانحراف عن جادة العفة والنجابة؛ لأنهما زوجتا نبيين، ولا يمكن أن تخون زوجة نبي بهذا المعنى للخيانة، فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما بغت إمرأة نبي قط»[1].

كانت خيانة زوجة لوط هي أن أفشت أسرار هذا النبي العظيم إلى أعدائه، وكذلك كانت زوجة نوح عليه السلام.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القران، للطبري ج١٢، ص٦٧، تحقيق و تقديم: الشيخ خليل الميس / ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار الطبعة: سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م المطبعة: الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

وقال الراغب في المفردات: الخيانة والنفاق واحد إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارا بالدين ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر[1].

كيف يطلب نوح نجاة ابنه؟ وهو غير مستحق للنجاة

وهو قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ *قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (هود: ٤٥ – ٤٦ – ٤٧).

الجواب:

لا ريب أن الظاهر من قول نوح عليه السلام أنَّه كان يريدُ الدعاء لابنهِ بالنجاة.

غير أن التدبر في آيات القصة يكشف الغطاء عن حقيقة الأمر بنحو آخر، فمن جانب أمره الله بركوب السفينة هو وأهله والمؤمنون بقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (هود: ٤٠). فوعده بإنجاء أهله واستثنى منهم من سبق عليه القول منهم بإهلاكه لكفره، وقد كانت إمرأته كافرة وسبق عليها القول بالإهلاك بشكل واضح كما ذكرها الله في قوله:

---

(١) مفردات الراغب الاصفهاني مادة (خون).

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ (التحريم: ١٠)، وأما ابنه فلم يظهر منه كفر بدعوة نوح، والذي ذكره الله من أمره مع أبيه وهو في معزل إنما هو معصية بمخالفة أمره عليه السلام، وليس بالكفر الصريح فمن الجائز أن يظن في حقه أنه من الناجين لظهور كونه من أبنائه وليس من الكافرين فيشمله الوعد الإلهي بالنجاة، ومن جانب قد أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام حكمه المحتوم في أمر الناس كما قال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ*وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧) فهل المراد بالذين ظلموا الكافرين بالدعوة أو يشمل كل ظالم أو هو مبهم مجمل يحتاج إلى تفسير من لدن قائله تعالى؟

فكأن هذه الأمور رابته عليه السلام في أمر ابنه ولم يكن نوح عليه السلام بالذي يغفل مقام ربه وهو أحد الخمسة أولوا العزم سادات الأنبياء، ولم يكن لينسى وحي ربه:

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ ولا ليرضى بنجاة ابنه ولو كان كافرا ماحضاً في كفره، وهو عليه السلام القائل فيما دعا على قومه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦)، ولو رضي عليه السلام في ابنه بذلك لرضي بمثله في إمرأته؛ ولذلك لم يجترء عليه السلام على مسألة قاطعة بل ألقى مسألته كالعارض المستفسر لعدم إحاطته بالعوامل المجتمعة واقعا على أمر ابنه بل بدأ بالنداء بإسم الرب؛ لأنه مفتاح دعاء المربوب المحتاج السائل ثم قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ كأنه يقول وهذا يقضي بنجاة ابني: ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ لا خطأ في أمرك ولا مغمض في حكمك فما

أدري إلى من انجر أمره، وهذا هو الأدب الإلهي أن يقف العبد على ما يعلمه ولا يبادر إلى مسألة ما لا يدري وجه المصلحة فيه. فألقى نوح عليه السلام القول على وجد منه كما يدل عليه لفظ النداء في قوله: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ**﴾ فذكر الوعد الإلهي ولم يزد عليه شيئا ولا سأل أمرا آخر غير ذلك فأدركته العصمة الإلهية وقطعت عليه الكلام، وفسّر الله سبحانه له معنى قوله في الوعد: ﴿**وأهلك**﴾ أن المراد به الأهل الصالحون، وقد قال تعالى من قبل: ﴿**وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾ وقد أخذ نوح عليه السلام بظاهر الأهل واعتقد أن المستثنى منهم هو إمرأته الكافرة فقط[1].

فإن قلت: قد نسب إليه الجهل: ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ أي: ممن استقرت فيه صفة الجهل واستقرارها إنّما يكون بالتكرار لا بالمرة والدفعة، وبذلك يعلم أنه سأل ما سأل وتحقق منه الجهل مرة، وإنما وعظه الله تعالى بما وعظ لئلا يعود إلى مثله فيتكرر منه ذلك فيدخل في زمرة الجاهلين؟

قلت: زنة الفاعل كجاهل لا تدل على الاستقرار والتكرار وإنما تفيده الصفة المشبهة كجهل على ما ذكروه، ويشهد لذلك قوله تعالى في قصة البقرة: ﴿**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (البقرة: ٦٧).

وقوله في قصة يوسف: ﴿**إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (يوسف: ٣٣).

---

(١) الميزان ج ٦، ص٢٦٦.

وقوله خطابا لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٥)[١].

ولو تنزلنا: فإنه لا ضير من أنَّه يكون جاهل أمام علم الله تعالى.

لماذا دعا على قومه؟ وكان الأولى أن يدعو لهم

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (نوح: الآية: ٢٤).

الجواب:

الآية صريحة بأنه دعا عليهم بعد أن نصحهم ووعظهم: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (العنكبوت: ١٤) ولكن لم يزدادوا إلا نفورا وكفرا وطغيانا: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (هود: ٣٢) فإن بقائهم ضرر على المؤمنين.

سؤال: لم يحكم على أنهم وما في أصلابهم فجارا وكفارا؟

وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٧).

---

(١) الميزان ج ١٠، ص٢٣٧.

الجواب:

الأنبياء لا ينطقون إلا عن وحي وغيب، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ (الأنبياء: ٧) وهذا ما أخبره به تعالى: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ (هود: ٣٦).

الآيات المتعلقة بالنبي إبراهيم عليه السلام

ألم يكن إبراهيم عليه السلام على يقين بأن الله تعالى يحيي الموتى؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

الجواب:

إنه عليه السلام إنما سأل الرؤية دون البيان الاستدلالي، فإن الأنبياء وخاصة مثل النبي الجليل إبراهيم الخليل أرفع قدرا من أن يعتقد البعث ولا حجة له عليه، والاعتقاد النظري من غير حجة عليه إما اعتقاد تقليدي أو ناشئ عن اختلال فكري، ولا شيء منهما ينطبق على إبراهيم عليه السلام على أنه عليه السلام إنما سأل ما سأل بلفظ كيف، وإنما يُستفهم بكيف عن خصوصية وجود الشيء لا عن أصل وجوده. فإنك إذا قلت: أرأيت زيدا؟ كان معناه السؤال عن تحقق أصل الرؤية، وإذا قلت: كيف رأيت زيدا؟ كان أصل الرؤية مفروغا عنه وإنما السؤال عن خصوصيات الرؤية.

فظهر أنه عليه السلام إنما سأل البيان بالإرائة والإشهاد لا بالاحتجاج والاستدلال؛ فلأنه قال: كيف تحيي الموتى؟ بضم التاء من الإحياء فسأل عن كيفية الإحياء الذي هو فعل ناعت لله تعالى وهو سبب حياة الحي بأمره، ولم يقل: كيف تحيي

الموتى؟ بفتح التاء من الحياة حتى يكون سؤالاً عن كيفية تجمع الأجزاء وعودها إلى صورتها الأولى وقبولها الحياة[١].

وقيل: إن الله عزَّ وجلَّ أمر إبراهيم عليه السلام أن يزور عبداً من عباده الصالحين فزارهُ فلما كلمه قال له: إن لله تبارك وتعالى في الدنيا عبداً يقال له إبراهيم واتخذه خليلا قال: وما علامة ذلك العبد؟ قال: يُحْيي له الموتى فوقع لإبراهيم أنه هو، فسأله أن يحيي له الموتى، قال: ﴿**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ يعني يطمئن قلبي على الخلة[٢].

هل عبد النبي إبراهيم عليه السلام الكواكب قبل عبادة الله تعالى؟

وهو قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ (البقرة: ٧٥ – ٧٨).

الجواب:

الآية واضحة بأنه عليه السلام كان في صدد حوار مع المشركين على سبيل

---

(١) الميزان ج٢، ص٣٦٧.

(٢) شرح أصول الكافي ج ١٠، ص٣٦.

الافتراض أو المجاراة والمماشاة والتسليم، وإظهار الشك والموافقة معهم لتكون الحجة أبلغ حتى يتزعزعوا عما يعبدون: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ فبهذا أبطل عبادة الكواكب جميعاً في ليلة وضحاها فتبرأ من ربوبيتها وشرك قومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: الآية: ٧٤).

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات: ٨٥ – ٨٦ – ٨٧).

ثم أثبت الربوبية لله سبحانه كما كان يثبت الألوهية بمعنى إيجاد السماوات والأرض وفطرها له تعالى فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩).

فإن قلت: إن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام ولم يعبدوا الكواكب والقمر والشمس، فلماذا ذهب إلى إبطال عبادة الكواكب والقمر والشمس؟

قلنا: يجيب عن هذا السؤال إمامنا الرضا عليه السلام حين سأله المأمون العباسي، حيث قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِكَ أَنَّ الأنبياء مَعْصُومُونَ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَسَأَلَهُ عَنْ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ لَهُ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿فَلَمَّا جَنَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هذا

رَبِّي﴾ فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَقَعَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ صِنْفٍ يَعْبُدُ الزُّهَرَةَ وَصِنْفٍ يَعْبُدُ الْقَمَرَ وَصِنْفٍ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ مِنَ السَّرَبِ الَّذِي أُخْفِيَ فِيهِ فَلَمَّا جَنَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَرَأَى الزُّهَرَةَ قَالَ هذا رَبِّي عَلَى الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِخْبَارِ فَلَمَّا أَفَلَ الْكَوْكَبُ قَالَ: ﴿لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾؛ لِأَنَّ الْأُفُولَ مِنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْقَدِيمِ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي﴾ عَلَى الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِخْبَارِ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ فَلَمَّا أَصْبَحَ وَرَأَى ﴿الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ﴾ مِنَ الزُّهَرَةِ وَالْقَمَرِ عَلَى الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِخْبَارِ لَا عَلَى الْإِخْبَارِ وَالْإِقْرَارِ ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ قَالَ لِلْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ مِنْ عَبَدَةِ الزُّهَرَةِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ: ﴿يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَإِنَّمَا أَرَادَ إِبْرَاهِيمُ بِمَا قَالَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ بُطْلَانَ دِينِهِمْ وَيُثْبِتَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَحِقُّ لِمَا كَانَ بِصِفَةِ الزُّهَرَةِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ وَإِنَّمَا تَحِقُّ الْعِبَادَةُ لِخَالِقِهَا وَخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ مَا احْتَجَّ بِهِ عَلَى قَوْمِهِ مِمَّا أَلْهَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَآتَاهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ﴾ فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لِلَّهِ دَرُّكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ»[1].

هل كذب عليهم حين قال إني سقيم؟

وهو قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (الصافات: ٨٨ – ٨٩ – ٩٠).

---

(١) التوحيد (للصدوق)، جلد ١، جامعه مدرسين – ايران ؛ قم، ص ٧٤.

الجواب:

لما أراد أهل المدينة أن يخرجوا كافة إلى عيدٍ لهم نظر إلى النجوم وأخبرهم أنه سقيم ستعتريه العلة فلا يقدر على الخروج معهم، وقصد بذلك التورية لا الكذب أو قصد أنّه سقيم أي: سأسقم وكل ميت سقيم كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠).

أو كما روي عَن أبي جَعْفَرٍ عليه السلام: «واللَّه مَا كَانَ سَقِيماً ومَا كَذَبَ وإنما عنى سقيما في دينه مرتادا»[1] أي: مرتاداً في دينهم.

كيف ينسجم مضمون الآية مع ما عُرف عند الشيعة أن آباء الأنبياء مؤمنين؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٧٤).

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات: ٨٥ – ٨٦ – ٨٧).

وقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٢ – ٤٥).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ٥٥٧.

الجواب:

إن آزر لمْ يكن أباً له؛ لأن أباه كان إسمه تارخ كما قال الزجاج: ليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تارخ.

وقال الطبري: وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور ابن ساروغ بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح [١].

لأنه قيل إنَّه جدهُ لإمهِ أو عمه ولا محذور أن يسمى الجد أو العم بالأب كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ردوا عليّ أبي ردوا عليّ أبي. فإن عم الرجل صنو أبيه)[٢].

وأن والديه كانا مؤمنين وكانا مستحقين للدعاء إلى أواخر حياته وشيخوخته كما قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾ (إبراهيم: ٣٩ – ٤٠ – ٤١).

حتى لو لم يكن أبوه فكيف يدعوا إبراهيم الخليل عليه السلام لمشرك؟

وهو قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي**

---

(١) تاريخ الطبري ج ١، ص١٦٢.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي ج ١٠، ص٥٢٧.

حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٦ – ٤٧).

وقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة: ١١٣).

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٤).

إن هذا الدعاء إنما صدر منه عليه السلام في الدنيا وكذلك التبري منه. لا أنه سيدعو له ثم يتبرأ منه يوم القيامة فإن السياق سياق التكليف التحريمي العام وقد استثنى منه دعاء إبراهيم، وبيّن أنه كان في الحقيقة وفاء منه عليه السلام بما وعده، ولا معنى لاستثناء ما سيقع مثلا يوم القيامة عن حكم تكليفي مشروع في الدنيا ثم ذكر التبري يوم القيامة.

ويتضمن التبري عن أبيه وقومه واستثناء الاستغفار أيضا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤)[1].

---

(١) الميزان ج ٧، ص١٦٣.

كيف لايعرف إبراهيم عليه السلام إنهم ملائكة فأوجس منهم خيفة؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ *فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ* وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ* قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ* إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ* يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (هود: ٦٩ – ٧٠).

﴿فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ كيف يقدم لهم الطعام ألا يعلم أن الملائكة منزهون عن العالم المادي وما يتعلق به وكيف: ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً... ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ (الحجر: ٥١).

ولماذا نكرهم وخاف ووجلّ منهم، ولماذا جادلهم بقوم لوط عليه السلام؟ ولماذا قال: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ألا يعلم أن الملائكة لهم علم بمن في القرية: ﴿إِلَّا آَلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الحجر: ٦٠).

الجواب:

أما مسألة تقديم الطعام للملائكة فلأنهم كانوا متنكرين بهيئة بشر كما في قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**﴾ (الذاريات: ٢٤ – ٢٥). أما الخوف ليس الخوف هنا الذي يقابل الشجاعة: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ (الأحزاب: ٣٩) بل ما رآهُ منهم وامتناعهم عن الطعام بقوله: (أيديهم لاتصل إليه) أي: للطعام وهذا تعبير عن غضبهم، ويؤيد ذلك ما روي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ بَعَثَ أَرْبَعَةَ أَمْلَاكٍ فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ – جَبْرَئِيلَ ومِيكَائِيلَ وإِسْرَافِيلَ وكَرُوبِيلَ – فَمَرُّوا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وهُمْ مُعْتَمُّونَ فَسَلَّمُوا عَلَيْه فَلَمْ يَعْرِفْهُمْ ورَأَى هَيْئَةً حَسَنَةً فَقَالَ لَا يَخْدُمُ هَؤُلَاءِ إِلَّا أَنَا بِنَفْسِي، وكَانَ صَاحِبَ ضِيَافَةٍ فَشَوَى لَهُمْ عِجْلاً سَمِيناً حَتَّى أَنْضَجَه ثُمَّ قَرَّبَه إِلَيْهِمْ فَلَمَّا وَضَعَه بَيْنَ أَيْدِيهِمْ: ﴿**فَلَما رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْه نَكِرَهُمْ وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**﴾ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ جَبْرَئِيلُ حَسَرَ الْعِمَامَةَ عَنْ وَجْهِه فَعَرَفَه إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، ومَرَّتْ سَارَةُ امْرَأَتُه فَبَشَّرَهَا بِإِسْحَاقَ ومِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، فَقَالَتْ: مَا قَالَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ؟ فَأَجَابُوهَا بِمَا فِي الْكِتَابِ فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: لِمَاذَا جِئْتُمْ؟ قَالُوا: فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ فِيهِمْ مِائَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُهْلِكُونَهُمْ؟ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: لا، قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا ثَلَاثُونَ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا عِشْرُونَ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا عَشَرَةٌ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسَةٌ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهَا وَاحِدٌ؟ قَالَ: لا ﴿**قَالَ فَإِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّه وأَهْلَه**

إِلَّا امْرَأَتَه كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ﴾[1].

وأما مسألة الجدل إذ كان يجادلهم أي: يحاول أن يصرف عن قوم لوط العذاب، وهذا ما في ذيل الرواية حيث أخذ يعد المؤمنين إلى أن وصل إلى لوط عليه السلام لأن؛ **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾** والجدل **﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾** كان فيه مدح بالغ لإبراهيم عليه السلام وليس ذم وليبيِّن أنه إنّما كان يجادل فيهم لأنه كان حليما لا يعاجل نزول العذاب على الظالمين رجاءً منه أن يأخذهم التوفيق فيصلحوا ويستقيموا، وكان كثير التأثر من ضلال الناس وحلول الهلاك بهم مراجعا إلى الله في نجاتهم لا أنه عليه السلام كان يكره عذاب الظالمين وينتصر لهم بما هم ظالمون وحاشاه عن ذلك.

فجاء الجواب يا إبراهيم قد حتم الله تعالى أمرهم ولابد من العذاب: **﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾** فقد قطعوا عليه جداله فانقطع حيث علم أن الإلحاح في صرف العذاب عنهم لن يثمر ثمراً، فإن القضاء حتم والعذاب واقع لا محالة. إنصرفْ عن هذا الجدال ولا تطمع في نجاتهم فإنه طمعٌ فيما لا مطمع فيه.

كيف لنبي من أولي العزم وخليل الرحمن أن يتعجب،وهل هذا القنوط كما وصفته الآية من اليأس؟

وهو قوله تعالى: **﴿... إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ**

---

(١) الكافي ج ٥، ص٥٤٧ دار الكتب الإسلامية طهران.

مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥١ – ٥٦).

الجواب:

أما التعجب من الفعل وليس من القدرة، أي: ما هو السبب المبرر لهذه البشارة التي جاءت على غير المعروف والمألوف؟ أما مسألة القنوط ظن الملائكة عليهم السلام أنه قانط إلا أنه عليه السلام دفع الظن مباشرة **قَالَ:** ﴿**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾ هذا دلالة قاطعة على أنه لم يسأل شاكا ولا يائساً بل متأكداً ومتثبتاً كما في قوله: ﴿**ولكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ الذي مرّ توضيحها.

كيف ينسب للأصنام الإضلال وهي جماد؟

وهو قوله تعالى: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (إبراهيم: ٣٦).

الجواب:

هذه النسبة مجازية لا على الحقيقة؛ لأنها جماد تعليل لدعائه لربه: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾ (ونسبة الإضلال إلى الأصنام لمكان الربط الذي بين الضلال وبينهن وإن لم يكن ارتباطاً شعورياً، وليس من اللازم في نسبة أي فعل أو أثر إلى شئ أن يقوم به قياماً شعورياً وهو الظاهر)[1].

---

(١) الميزان ج ١٢، ص ٧٠.

كان من الأولى أن لا يهددهم بتحطيم آلهتهم حتى لا يكون المتهم الرئيس عند تدميرها.

وهو قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (الأنبياء: ٥٧).

الجواب:

لم يكن هدفه عليه السلام تدمير الأصنام فحسب بل إثارة الشبهة فلابد من توجه التهمة إليه من خلال التهديد وهو المطلوب؛ ولذا أبقى كبيرهم لينفتح الحوار.

أو لعله عليه السلام قال هذا بينه وبين نفسه ولم يخاطب به أحد فيرتفع الإشكال.

هل كذب حين نسب التدمير لكبير الأصنام؟

وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ*قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٢ – ٦٣) يعني أنا لم أفعلها إن كانوا ينطقون وبما أنهم لا ينطقون إذاً أنا فعلتها فلم يكذب عليه السلام، وأراد تحطيم معتقدهم حين طلب منهم أن يسألوا كبيرهم، وبما أنه لا ينطق أفحمهم بالحجة الدامغة: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٤ – ٦٧).

قال السبحاني:

(وأمّا الغاية من هذا الكلام فهو إنّه طرح كلامه بصورة الجد وإن لم يكن

عن جد حقيقي، وطلب منهم أن يسألوا الأصنام بأنفسهم وأنّه مَن فعل هذا بهم؛ لغاية أخذ الاعتراف منهم بما أقرّوا به في الآية أعني قولهم: (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) حتى يتسنّى للخليل عليه السلام كبتهم وتوبيخهم -بأنّه إذا كان هؤلاء على ما يصفون -بقوله عليه السلام: ﴿**أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾، وفي موضع آخر يقول: ﴿**أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ فتبين من ذلك أنّ قوله: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ**﴾ لم يكن كلاماً عن جد وجزم وعزم حتى يوصف بالكذب بل كان كلاماً أُلقي على صورة الجد ليكون ذريعة لإبطال عبادتهم وشركهم، وكانت القرائن تشهد على أنّه ليس كلاماً جديّاً ولو كان هذا الكلام صادراً من عاقل غير النبي عليه السلام لأجزنا لأنفسنا أن نقول: إنّ الغاية الاستهزاء والتهكّم بعبدة الأصنام والأوثان حتى يتنبهوا بذلك الوجه إلى بطلان عقيدتهم)[1].

ولو تنزلنا جدلاً أنه عليه السلام أراد الإصلاح ويؤيد ذلك بعض الروايات:

عَنِ الْحَسَنِ الصَّيْقَلِ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام: إِنَّا قَدْ رُوِّينَا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ**﴾ فَقَالَ: واللَّه مَا سَرَقُوا ومَا كَذَبَ وقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: ﴿**بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ**﴾ فَقَالَ: واللَّه مَا فَعَلُوا ومَا كَذَبَ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام: مَا عِنْدَكُمْ فِيهَا يَا صَيْقَلُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا عِنْدَنَا فِيهَا إِلَّا التَّسْلِيمُ. قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ اللَّه أَحَبَّ اثْنَيْنِ وأَبْغَضَ اثْنَيْنِ أَحَبَّ الْخَطَرَ فِيمَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وأَحَبَّ الْكَذِبَ فِي

---

(١) عصمة الأنبياء في القران الكريم، للشيخ جعفر سبحاني ص١٣١.

الإِصْلَاحِ وأَبْغَضَ الْخَطَرَ فِي الطُّرُقَاتِ وأَبْغَضَ الْكَذِبَ فِي غَيْرِ الإِصْلَاحِ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِنَّمَا قَالَ: ﴿**بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُمْ هذا**﴾ إِرَادَةَ الإِصْلَاحِ ودَلَالَةً عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ، وقَالَ يُوسُفُ عليه السلام إِرَادَةَ الإِصْلَاحِ[1].

ونختم بما قاله القرآن في حق خليل الرحمن عليه السلام.

قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ* وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ**﴾ (ص: ٤٥ – ٤٨).

وقال تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ (الصافات: ١٠٩).

---

(١) الكافي ج ٢، ص٣٤٢.

الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ

سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٦٠ – ٨٢).

يوجد جملة من الملاحظات في الآيات المباركة نقف عليها إنْ شاء الله تعالى.

هل يطرأ النسيان على الأنبياء عليهم السلام ؟

وهو قوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وهي واضحة في نسبة النسيان لكليهما يعني موسى ووصيه.

الجواب:

قيل: (إنّما نسيه يوشع بن نون عليه السلام، وأضافه إليهما كما يقال نسي القوم زادهم، وإنما نسي بعضهم)[1]. مضافا إلى أن الكلام اللاحق ينسب النسيان لفتى موسى صراحة، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ

(١) التبيان الشيخ الطوسي ج ٧، ص٦٦.

﴿عَجَبًا﴾ (الكهف: ٦٣).

وهناك وجه آخر إذ لعل النسيان هنا بمعنى الترك، أي: تركا حوتهما كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (طه: ١١٥).

وقوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

كيف يكون الخضر عليه السلام أعلم من موسى عليه السلام؟ وهو نبي من أولي العزم

وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ (الكهف: ٦٦).

الجواب:

ما ورد في قضية العبد الصالح وموسى عليه السلام أحكام خاصة اقتضتها الحكمة الإلهية باعتبار أن العبد الصالح كان يرى الأمور الواقعية لا الظاهرية، ولا يمكن بل لا يجوز تعميمها على غيرهما. وقد ذُكرت عدة أقوال وتفاسير لهذه الحادثة منها: أنّه تدبير إلهي اقتضته قاعدة اللطف التي يقول بها المتكلمون.

وذهاب موسى عليه السلام إلى العبد الصالح كان استجابة لأمر الله تعالى؛ لحكمة هو بالغها ولا يعني ذلك بشكل من الاشكال أن الخضر أفضل وأكمل من موسى عليه السلام.

وقد قال بعض المفسرين: إنّ اللازم في الرسول أن يكون أعلم في العقائد

وما يتعلّق بشريعته لا مطلقاً، فلا يضرّ في منصبه أن يتعلّم علوماً غيبيّة وأسراراً خفيّة لا تعلّق لها بذلك من غيره سيما إذا كان ذلك الغير نبيّاً أو رسولاً أو عالماً يحمل علماً خاصاً أيضاً كما قيل في الخضر عليه السلام.

وهذا ما أشارت إليه نصوص متعدّدة من طرق الفريقين، منها:

في تفسير القمّي عن محمّد بن علي بن بلال عن يونس «في كتاب كتبوه إلى الرضا عليه السلام يسألونه عن العالِم الذي أتاه موسى أيّهما كان أعلم؟ وهل يجوز أن يكون على موسى حجّة في وقته؟

فكتب في الجواب: أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر... فسلّم عليه موسى، قال: مَن أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران.

قال: أنت موسى بن عمران الذي كلّمه الله تكليماً؟ قال: نعم.

قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلّمني ممّا عُلّمت رشداً.

قال: إنّي وكّلت بأمر لا تطيقه، ووكّلتَ بأمر لا أطيقُه»[1].

فإن موسى عليه السلام أعلم من الخضر عليه السلام بما كُلِف به في النبوة والرسالة، والخضر عليه السلام أعلم بهذا الأمر الخاص الباطني بمعنى أن ما عند الخضر عليه السلام لم يكن عند موسى عليه السلام، وما كان عند موسى عليه السلام لم يكن عند الخضر عليه السلام فيكون الخضر عليه السلام تابعاً لموسى عليه السلام فيما عنده، وموسى تابعاً للخضر عليه السلام لما عنده من العلم.

---

(١) تفسير القمي ج ٢، ص ٣٨.

كيف يصف الخضر عليه السلام موسى عليه السلام بعدم الصبر؟

وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

الجواب:

فقد اتضح مما سبق هذا السؤال لأن موسى عليه السلام مكلّف بالظواهر وما سوف يفعله الخضر عليه السلام من البواطن وهو خاص بالخضر عليه السلام.

ويؤيد ذلك ما جاء في سياق الآية حيث علل العبد الصالح عدم قدرة موسى على الصبر بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف: ٦٨)، وهو أمر طبيعي حيث يسعى الإنسان إلى السؤال والاستفسار عما غاب عنه.

لماذا لم يصبر النبي موسى عليه السلام؟

وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ حتى قال: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ فقال له الخضر عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ثم: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

وهذه مؤاخذة ثانية: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فوعد موسى مرة أُخرى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ثم: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ

لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

وهذه مؤاخذة ثالثة حتى قال له الخضر عليه السلام: ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾ فكيف للنبي موسى عليه السلام يعد ثلاث مرات بالصبر ويخالف الوعد؟

الجواب:

إن النبي موسى عليه السلام نبي من أولي العزم ومكلّف أن يتعامل بالظواهر ولم يكن اعتراضاً منه بل استفهاماً واستعلاما عن العلة، وأن مبادرته للاستفهام إنما هي للمخالفة الظاهرية وخصوصاً عند العرف: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾ و ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**﴾ لهذا الفعل لا لأنه لا يعلم بأن لها تأويلا؛ ولذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان، وبعضكم ألحن بحجته من بعض، فأيما رجل قطعت له من مال أخيه شيئا فإنما قطعت له قطعة من النار »[1].

كان الحكم هنا خاص وباطني، وكان النبي موسى عليه السلام يعلم أن هناك حقيقة وراء فعل الخضر عليه السلام ولكنه لا يعلمها على وجه التفصيل؛ ولذا بيّن الخضر عليه السلام للنبي موسى عليه السلام العلة وعمله بالباطن ليس منه بل بأمر الله تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ**

(١) وسائل الشيعة ج ٢٧، ص٢٣٢، الكافي ج ٧، ص٤١٤.

لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

وذكر صاحب الميزان (... وعده بالصبر لكن قيده -الصبر- بالمشيئة فلم يكذب إذ لم يصبر، وقوله: ﴿**وَلَا أَعْصِي**﴾ إلخ عطف على ﴿**صَابِرًا**﴾ لما فيه من معنى الفعل فعدم المعصية الذي وعده أيضا مقيد بالمشيئة ولم يخلف الوعد إذ لم ينته بنهيه عن السؤال...)[1].

ولو سكت موسى عليه السلام للمخالفة الظاهرية ففي ذلك مخاطر كبيرة؛ لأنه يفتح الباب على مصراعيه للحكام الظالمين والجبارين بالتعلل بأن ما يفعلونه ينطلق من علمهم بالواقع؛ ولذلك اعترض بصيغة الاستفهام دون أن يشكل ذلك ذنباً أو مخالفة شرعية لحكم شرعي؛ لأنه قيد وعده له بالمشيئة.

ولو تنزلنا عن هذا كله فنقول: إذا ثبت أن الخضر عليه السلام نبي وموسى عليه السلام كذلك فلا مانع من تفاوت مراتب الأنبياء عليهم السلام بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾ (الاسراء: ٥٥) فيرتفع الإشكال من رأس فيكون الخضر عليه السلام أعلم من موسى عليه السلام بهذا الأمر الباطني والخاص.

كيف يقتص الخضر عليه السلام من الغلام قبل الجناية؟[2]

قال تعالى: ﴿**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً**

---

(١) الميزان ج ١٣، ص٣٤٣.

(٢) تعرضنا للخضر في هذا الكتاب، وردِّ بعض الاشكالات عليه على مبنى من قال بأنه نبي من الأنبياء.

بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (الكهف: ٧٤).

حُكم في واقعة خاصة لعلم الخضر عليه السلام بالمصلحة الغيبية؛ ولذا قال: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾(الكهف: ٨٢) وكان اعتراض النبي موسى عليه السلام في محله؛ لأنه مكلف بالظواهر فلا يرد الإشكال بأنه لا يجوز القصاص قبل الجناية؛ لأن هذا حُكم ظاهري وفعل الخضر عليه السلام باطني.

ولا بأس بذكر ما روي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: (إن الخضر كان نبيا مرسلاً بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، وكانت آيته أنه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلا أزهرت خضراء، وإنّما سمي خضرا لذلك، وكان إسمه تاليا بن ملكان بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام أو أن موسى لمّا كلمه الله تكليما وأنزل عليه التوراة وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء، وجعل آيته في يده وفي عصاه وفي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وأغرق الله عز وجل فرعون وجنوده، وعملت البشرية فيه حتى قال في نفسه: ما أرى أن الله عز وجل خلق خلقا أعلم مني.

فأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل عليه السلام: يا جبرئيل أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك، وقل له إن عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً فاتبعه وتعلم منه، فهبط جبرئيل عليه السلام على موسى عليه السلام بما أمره به ربه عز وجل، فعلِم موسى عليه السلام أن ذلك لِما حدثته به نفسه.

فمضى هو وفتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين، فوجدا هناك الخضر عليه السلام يعبد الله عز وجل، كما قال الله عز وجل في كتابه: ﴿**فَوَجَدَا**

عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناه رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وعَلَّمْناه مِنْ لَدُنَّا عِلْماً قالَ لَه مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾؟ قال له الخضر عليه السلام: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾ لأني وكلت بعلم لا تطيقه، ووكلت أنت بعلم لا أطيقه.

قال موسى عليه السلام: بل أستطيع معك صبرا، فقال الخضر: إن القياس لا مجال له في علم الله وأمره: ﴿**وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِه خُبْراً**﴾؟ قال له موسى: ﴿**سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّه صابِراً ولا أَعْصِي لَكَ أَمْراً**﴾ فلما استثنى المشيئة قبله. قال: ﴿**فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْه ذِكْراً**﴾ فقال موسى عليه السلام: لك ذلك عليّ.

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها الخضر عليه السلام، فقال له موسى عليه السلام: ﴿**أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**﴾ قال: ﴿**أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾! قال موسى عليه السلام: ﴿**لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ**﴾ أي: بما تركت من أمرك: ﴿**ولا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً**﴾.

﴿**فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَه**﴾ الخضر عليه السلام، فغضب موسى عليه السلام وأخذ بتلابيبه وقال له:

﴿**أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً**﴾ قال له الخضر: إن العقول لا تحكم على أمر الله تعالى ذكره، بل أمر الله يحكم عليها، فسلِم لما ترى مني واصبر عليه فقد علمتُ أنك لن تستطيع معي صبرا.

قال موسى عليه السلام: ﴿**إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً**﴾.

﴿فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وهي الناصرة، وإليها تنسب النصارى: ﴿اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ فوضع الخضر عليه السلام يده عليه فأقامه فقال له موسى عليه السلام:

﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْه أَجْراً﴾ قال له الخضر عليه السلام: ﴿هذا فِراقُ بَيْني وبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْه صَبْراً﴾ فقال: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْباً﴾ فأردت بما فعلت أن تبقى لهم ولا يغصبهم الملك عليها، فنسب الإبانة في هذا الفعل إلى نفسه لعلة ذكر التعييب؛ لأنه أراد أن يعيبها عند الملك حتى إذا شاهدها فلا يغصب المساكين عليها، وأراد الله عز وجل صلاحهم بما أمره به من ذلك. ثم قال: ﴿وأَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواه مُؤْمِنَيْنِ﴾ فطلع كافرا وعلم الله تعالى ذكره أنه إن بقي كفر أبواه وافتتنا به وضلا بإضلاله إياهما، فأمرني الله تعالى ذكره بقتله وأراد بذلك نقلهم إلى محل كرامته في العاقبة، فاشترك في الإبانة بقوله: ﴿فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وكُفْراً فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْه زَكاةً وأَقْرَبَ رُحْماً﴾ وإنما اشترك في الإبانة لأنه خشي، والله لا يخشى لأنه لا يفوته شيء ولا يمتنع عليه أحد أراده، وإنما خشي الخضر من أن يحال بينه وبين ما أمر فيه فلا يدرك ثواب الإمضاء فيه،ووقع في نفسه أن الله تعالى ذكره جعلهُ سبباً لرحمة أبوي الغلام فعمل فيه وسط الأمر من البشرية مثل ما كان عمله في موسى عليه السلام؛ لأنه صار في الوقت مُخبِرا وكليم الله موسى عليه السلام مُخبَرا، ولم يكن ذلك باستحقاق الخضر عليه السلام للرتبة على موسى عليه السلام وهو أفضل من الخضر؛ بل كان لاستحقاق موسى للتبيين، ثم

قال: ﴿وأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وكانَ تَحْتَه كَنْزٌ لَهُما وكانَ أَبُوهُما صالِحاً﴾ ولم يكن ذلك الكنز بذهب ولا فضة، ولكن كان لوحا من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن أيقن أن البعث حق كيف يظلم، عجبت لمن يرى الدنيا وتصرف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئن إليها، وكان أبوهما صالحا وكان بينهما وبين هذا الأب الصالح سبعون أبا فحفظهما الله بصلاحه، ثم قال: ﴿فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما ويَسْتَخْرِجا كَنزَهُما﴾ فتبرأ من الإبانة في آخر القصص، ونسب الإرادة كلها إلى الله تعالى ذكره في ذلك؛ لأنه لم يكن بقي شيء مما فعله فيخبر به بعد ويصير موسى عليه السلام به مُخبَراً ومصغياً إلى كلامه تابعاً له، فتجرد من الإبانة والإرادة تجرد العبد المخلص ثم صار متنصلا مما أتاه من نسبة الإبانة في أول القصة ومن ادعائه الاشتراك في ثاني القصة، فقال: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وما فَعَلْتُه عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْه صَبْراً﴾[1].

كيف يمكن أن يوصي موسى عليه السلام هارون النبي عليه السلام بعدم إتباع المفسدين، وهل يحتاج نبي الله هارون إلى مثل هذه الوصية والتحذير؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢).

---

(١) تفسير البرهان ج ٣، ص٦٤٧.

الجواب:

لاشك أن هارون النبي عليه السلام لا يَتبَعْ سبيل المفسدين وموسى عليه السلام يعرف ذلك وإنما قال ذلك من باب إياك أعني وأسمعي يا جارة، ولكي يكون هارون عليه السلام حجة عليهم من بعده باعتبار الرئاسة لموسى عليه السلام.

أو كان مراد النبي موسى عليه السلام أن أرفق بهم وأحسن إليهم من باب التنبيه والتذكير.

كيف يلوم النبي موسى عليه السلام هارون عليه السلام؟ وكأنه سببا لإنحرافهم أو متهاونا معهم

وهو قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (الأعراف: ١٥٠).

أو قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾ (طه: ٩٢ – ٩٣ – ٩٤).

الجواب:

قيل: (فما وقع منه إنما هو تأديب في أمر إرشادي لا عقاب في أمر مولوي وإن كان الحق في ذلك مع هارون؛ ولذلك لما قص عليه القصص عذره في ذلك ودعا

لنفسه ولأخيه بقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ الخ.

وقد وجه قوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ بوجوه أخر:

الأول: إن موسى إنما فعل ذلك مستعظما لفعلهم مفكراً فيما كان منهم كما يفعل الإنسان ذلك بنفسه عند الوجد وشدة الغضب فيقبض على لحيته ويعض على شفته فأجرى موسى أخاه هارون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الإنسان بنفسه عند الغضب والأسف.

الثاني: إنه أراد أن يظهر ما أعتراهُ من الغضب على قومه لاكباره منهم ما صاروا إليه من الكفر والارتداد فصدر ذلك منه لإعلامهم عظم الحال عنده لينزجروا عن مثله في مستقبل الأحوال...)[1]. بمعنى أنه فعل ذلك بأخيه ابن أمه وأبيه لا لتقصيره فكيف بالمقصرين؟

ولعل موسى عليه السلام إنما أمره بالذهاب إليه واتباعه: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى فساد قومه، فيجيب هارون: إنما أمرتني باتباعك بشرط أن لا يكون فساد في قومك فلو جئتك واتبعتك لحصل الفساد ولهذا لم أكن مراقباً لقولك؛ لذلك قال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه: ٩٤).

وقد يضاف سبب آخر أدى إلى سكوت هارون عليه السلام عنهم وعن عبادتهم

---

(١) الميزان ج ٨، ص٢٥٢.

العجل، وهو كونه مستضعفاً بينهم بعد غيبة أخيه فليس له القدرة على معالجة الموقف إلاّ بالإرشاد والتوجيه، قال تعالى: ﴿... **قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي**﴾ (الأعراف: ١٥٠).

ولا يوجد في الايات أي إشارة للإهانة والتقريع بأخذ الرأس والليحة بل فيها جنبة عاطفية (يا ابن أم).

فإن قلت: ﴿**فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ لاتشمت بي الأعداء قرينة على التقريع والتوبيخ.

قلتُ: لو جعل موسى عليه السلام هارون عليه السلام مع القوم الظالمين لوقعت الشماتة لكنه لم يجعله مع القوم الظالمين، فانتفت الشماتة فلا تقريع.

فإن قلت: فما فائدة عتاب موسى لأخيه هارون؟

قلتُ: لتبرئة ساحة هارون عليه السلام أمام الناس من أنه لم يكن مع الذين ارتدوا وضلوا وتبرأة ساحته من أي تقصير بطريقة عملية.

لماذا طلب موسى عليه السلام المغفرة، هل كانا مقصرين؟

وهو قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (الأعراف: ١٥١).

الجواب:

المغفرة أعم من الذنوب والمعاصي، وتارة يراد بالمغفرة آثار الأعمال في الخارج دون الذنوب والمعاصي فلا ملازمة بين طلب المغفرة ووجود الذنب بل

من باب التواضع والشعور بالتقصير أمام الحق المطلق سبحانه وتعالى، وقد استعمل القرآن مفردة المغفرة بمعنى القرب كما في قوله تعالى: ﴿مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ (الحديد: ٢٠)، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤).

هل كان في لسان موسى عليه السلام لكنة؟ حتى طلب من الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام؛ لأنه أفصح منه لسانا

وهو قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه: ٢٥ – ٣٦).

وقال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ (الشعراء: ١٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ﴾ (القصص: ٣٣ – ٣٥).

الجواب:

روي عن الباقر عليه السلام وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلما يلدون، ويربي موسى ويكرمه ولا يعلم أن هلاكه على يديه ولما درج موسى كان يوماً عند فرعون فعطس، فقال: الحمد لله رب العلمين فأنكر فرعون ذلك عليه ولطمه، وقال: ما هذا الذي تقول فوثب موسى عليه السلام على لحيته وكان طويل اللحية فهلبها، أي: قلعها فألمه ألماً شديداً فهمّ فرعون بقتله، فقالت له إمرأته: هذا غلام حدث لا يدري ما يقول، فقال فرعون: بلى يدري، فقالت له: ضع بين يديك

تمراً وجمراً فإن ميزّ بين التمر والجمر فهو الذي تقول، فوضع بين يديه تمراً وجمراً، وقال له: كُل فمدّ يده إلى التمر فجاء جبرئيل فصرفها إلى الجمر فأخذ الجمر في فيه فاحترق لسانه وصاح وبكى، فقالت: آسية لفرعون ألم أقل لك إنه لم يعقل فعفا عنه)[1].

وعلى كل حال فإن الثابت أن في لسان موسى عليه السلام ثقلاً وعلة وعقدة، ولكن ما سبب هذه العقدة؟ فقد قيل: بسبب الجمرة كما في الرواية أعلاه، وقيل: إنها خلقة، وعلى كل تقدير لا يُعد ذلك خللاً في النبوة والعصمة.

هل استعفى النبي موسى عليه السلام من أداء الرسالة؟

وهو قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ*وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ**﴾ (سورة الشعراء: ١٢ – ١٣).

الجواب

ليس في الآية الكريمة ما يدل على أنه استعفى عن أداء الرسالة بل طلب العون، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ (طه: ٢٥).

﴿**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾ (طه: ٢٦).

﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي**﴾ (طه: ٢٧).

﴿**يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾ (طه: ٢٨).

﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي**﴾ (طه: ٢٩).

---

(١) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني ج ٣، ص ٣٠٤.

﴿هَارُونَ أَخِي﴾ (طه: ٣٠).

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (طه: ٣١).

﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه: ٣٢).

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ (طه: ٣٣).

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ (طه: ٣٤).

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (طه: ٣٥).

فأجابه ربه: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٣٦)، فكان طلبه العون على أداء الرسالة ليضمن نجاحها.

كيف لنبي أن يخاف؟ وهو يعلم أن الله تعالى معه

وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القصص: ٣٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (طه: ٤٥).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (طه: ٧٧).

وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص: ١٨).

وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ

﴿الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٥).

وقال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢١).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (القصص: ٣١).

الجواب:

(... الخوف وهو الأخذ بمقدمات التحرز عن الشر غير الخشية التي هي تأثر القلب واضطرابه فإن الخشية رذيلة تنافي فضيلة الشجاعة بخلاف الخوف، والأنبياء عليهم السلام يجوز عليهم الخوف دون الخشية كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٣٩)[1].

فإن قلت: قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ١٠)، وهي صريحة في خوف موسى عليه السلام من انقلاب العصى، واستدراك الرب له بضرورة العودة وأنه لا خوف عليه.

قلنا: بالرغم من أن خوف موسى هنا قد أثار التساؤل لدى بعض المفسّرين بأن هذه الحالة كيف تناسب موسى عليه السلام مع الشجاعة التي عهدناها لدى موسى

---

(١) الميزان ج ١٤، ص ١٤٤.

وأثبتها عملياً طوال عمره عند محاربته الفراعنة إضافة إلى صفات وشروط الأنبياء بصورة عامّة.

إلاّ أنّ الجواب عن هذا السؤال يتّضح بملاحظة نكتة واحدة، وهي أن من الطبيعي أن كل إنسان مهما كان شجاعاً وغير هياب إذا رأى فجأة قطعة خشب تتحول إلى حية عظيمة وتتحرك بسرعة فلابدّ أن يرتبك ويخاف ولو لمدّة قصيرة ويسحب نفسه جانباً توقياً إلاّ أن يكون هذا المشهد قد تكرر أمامه مراراً، ورد الفعل الطبيعي هذا لا يكون نقطة ضعف ضد موسى أبداً ولا تنافي الآية (٣٩) من سورة الأحزاب حيث تقول: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ**﴾ فإن هذا الخوف طبيعي ومؤقت وسريع الزوال أمام حادثة لم تحدث من قبل قط وخارق للعادة.

هل كان خوف موسى عليه السلام في واقعة السحرة شكا في صحة ما جاء به؟

وهو قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى*فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾ (طه: ٦٥ – ٦٦ – ٦٧).

الجواب:

كان خوفه من قوة التلبيس والتخييل الذي قام به السحرة على الحاضرين ووقوع الشبهة عندهم فطمئنه الله تعالى: ﴿**قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى**﴾ (طه: ٦٨) وفي نهج البلاغة قال عليه السلام: (لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على

نفسه أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال)[١].

لماذا يصف قتله للرجل بالذنب؟

وهو قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾ (الشعراء: ١٤).

ووصفه بالضلال، وهو قوله تعالى: ﴿**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ*قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ**﴾ (الشعراء: ١٩ – ٢٠).

وطلب الغفران، وهو قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (القصص: ١٦).

بل وصفه من عمل الشيطان أيضاً، وهو قوله تعالى: ﴿**مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾.

الجواب:

أما بالنسبة إلى قوله: ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ**﴾ لفظ الذنب يستعمل في كل فعل يستوخم عقباه اعتباراً لما يحصل من عاقبته[٢].

وليس المراد من الذنب هنا المعصية. روي عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليهما السلام،وذكر حديث عصمة الأنبياء عليهم السلام، وقد ذكرنا منه غير مرة – فكان فيما سأل المأمون الرضا عليه السلام أن قال له: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾.

---

(١) نهج البلاغة ج١، ص٣٩.

(٢)مفردات الراغب الأصفهاني ص ٣٢٨٠مادة (ذنب).

قال الإمام الرضا عليه السلام: «إن موسى عليه السلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيها رجلين يقتتلان: هذا من شيعته، وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فقضى موسى عليه السلام على العدو بحكم الله تعالى، فوكزه فمات، قال: ﴿**هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ**﴾ يعني الاقتتال الذي وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله. يعني الشيطان: ﴿**عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**﴾. قال المأمون: فما معنى قول موسى عليه السلام: ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي**﴾؟

قال: «يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخول هذه المدينة فاغفر لي. أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني: ﴿**فَغَفَرَ لَه إِنَّه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ قال موسى عليه السلام: ﴿**رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**﴾ من القوة حتى قتلت رجلا بوكزة: ﴿**فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ**﴾ بل أجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى.

﴿**فَأَصْبَحَ**﴾ موسى عليه السلام ﴿**فِي الْمَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَه بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُه**﴾ قال له موسى: إنك لغوي مبين قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم. لأؤدبنك وأراد أن يبطش به فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما وهو من شيعته، قال: يا موسى: ﴿**أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ**﴾ قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن[1].

---

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ج ٤، ص ٢٩.

وأما قوله: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ فقيل: من الجاهلين بأنها تؤدي إلى القتل، وفي العيون عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن ذلك مع أن الأنبياء معصومون، فقال: وأنا من الضالين عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مداينك. أقول: لعل المراد أنه ورَّى لفرعون فقصد الضلال عن الطريق، وفرعون إنّما فهم منه الجهل والضلال عن الحق فإن الضلال عن الطريق لا يصلح عذرا للقتل[1].

كيف ينسب النبي موسى عليه السلام الإضلال لله تعالى؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨).

الجواب:

ذكرت في المقام عدة وجوه نذكر أهمها:

الوجه الأول: أراد بقوله: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ لئلا يضلوا عن سبيلك، فحذف (لا) وكم له من نظير في القرآن كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة: ٣٨٣) وأراد بها (لئلا تضل) أو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (النحل: ١٥) وأراد (لئلا تميد).

الوجه الثاني: أنه أراد بها لام العاقبة كما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ (القصص: ٨) فهم لم يلتقطوه ليكون زوالهم

---

(١) تفسير البرهان ج ٤، ص ٢٦٠.

على يده، وهذا الوجه يناسب السياق أيضاً.

كيف يطلب النبي موسى عليه السلام رؤية الله تعالى؟ وهو يعلم أنها مستحيلة

وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: ١٤٣).

الجواب:

(عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليهما السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأله أن قال له: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟ فقال الرضا عليه السلام: «إن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علِم أن الله تعالى لا يُرى بالأبصار، و لكنه لمّا كلّمه الله عز وجل وقربه نجيا رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلّمه وقربه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل فاختار منهم سبعين ألفا، ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين

رجلا لميقات ربه، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل،وصعد موسى عليه السلام إلى الطور وسأل الله تبارك و تعالى أن يكلّمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام؛ لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة، ثم جعله منبعثا منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم؛ لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله إياك، فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك أن تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته، فقال موسى عليه السلام: يا قوم إن الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى عليه السلام: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله جل جلاله إليه: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ**﴾ (وهو يهوي) فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل (بآية من آياته) جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك (يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي وأنا أول المؤمنين) منهم بأنك لا ترى» فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن...)[1]

(١) التوحيد الشيخ الصدوق ص ١٢٢.

ويؤيد هذا الجواب قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء: ١٥٣).

ونختم البحث في الآيات التي تبين لنا مقام النبي موسى عليه السلام

إنه من المحسنين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص: ١٤).

إنه كان وجيهاً عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩).

قد سلم الله تعالى عليه وعلى أخيه عليهما السلام، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الصافات: ١٢٠).

إنه مُخلَصاً استخلصه الله تعالى لنفسه وجعله رسولاً ونبياً، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: ٥١).

إن الله تعالى اصطنع موسى عليه السلام لنفسه، قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤٠ – ٤١).

إنه قد اختاره الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى *وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٢ – ١٣ – ١٤).

الآيات المتعلقة بالنبي عيسى عليه السلام

كيف ينسب النبي عيسى عليه السلام الخلق له، والخالق هو الله تعالى؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩).

الجواب:

استخدم النبي عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾ أي: إني أقدر لكم وأصور لكم من الطين مثل صورة الطير وبإذن الله تعالى هو الخالق؛ ولذا أعقب بقوله: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إذ لا يمكن أن يكون الخلق إلا لله تعالى، فكل ما قال شيء ختم بإذن ربي أو بإذن الله تعالى حتى يبين عدم الاستقلال في الخلق بل بإذن الله تعالى.

(وبالجملة الأخبار الدالَّة على تفويض الأمور التكوينية والتشريعية إليهم عليهم السّلام كثيرة جداً بالغة حدّ التواتر لمن تتبعها في مظانها، لكن ينبغي حملها على وجهها الذي أريد منها، وهو أن جميع الآثار من الخلق والرزق وغيرهما منه سبحانه إلَّا أنّه لمّا جرت عادته سبحانه بأن يكون له وسائط لإفاضته التكوينية كما أنّ له وسائط لإفاضته التشريعية مع عدم قابلية الداني لتلقي الفيض

إلا بالوسائط، فهم كالمرآة المحاذي لشمس وجود الحق قد تجلى لها ربها فأشرقت وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله)[1].

هل ادعى النبي عيسى عليه السلام الإلوهية؟

وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ (المائدة: ١١٦).

الجواب:

لا يمكن أن نقول إنّه استفهام على الحقيقة، وإن كان في مخرج الاستفهام؛ لأن الله تعالى علاّم الغيوب فلا داعي أن يسئل عيسى عليه السلام، وهو قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ بل كان من باب التقريع والتوبيخ والتكذيب لمن ادعى ذلك من قومه.

---

(١) تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي ج٣، ص٣٧٤.

الفصل الثالث

الدفاع عن سائر الأنبياء عليهم السلام

الآيات المتعلقة بالنبي آدم عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ *فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ *وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ *فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ *قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (الأعراف: ١٩ – ٢٤).

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى* فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١ – ١٢١).

وقال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه: ١١٥).

الملاحظ في هذه الآيات الكريمة أن آدمعليه السلام أكل من الشجرة بعد أن نهاه الله تعالى عنها، ونسيَ بعد ما وسوس له الشيطان وقاسمهما، أي: حلف لهما وأقرّ بالمعصية وأعترف إنّه ظلم نفسه ثم طلب التوبة من الله تعالى.

الجواب:

وقع الكثير من الكلام في هذه المسألة وتعدد الآراء، ولكن ذهب المشهور إلى أن النواهي الصادرة من المولى تبارك وتعالى على قسمين:

القسم الأول: الأوامر والنواهي المولوية الإلزامية التي لا يجوز مخالفتها وبمخالفتها تستحق العقوبة.

مثلاً: الأمر بإقامة الصلاة: ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**﴾ النساء: ١٠٣ فمن خالف عوقب: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**﴾ (المدثر: ٤٢ – ٤٣).

القسم الثاني: الأوامر والنواهي الإرشادية التي يُحرم مخالفها من الثواب ليس إلا، ولا يستحق العقوبة عليها.

مثلاً: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾ (البقرة: ٢٦٤) فمن تصدّق بأذى أو مَنّ حُرم من الثواب من غير استحقاق لأي عقوبة.

وبما أنَّه تقدم الكلام في عصمة الأنبياءعليهم السلام بكل مراتبها فلا يمكن قبول هذه المخالفة لأمر مولوي بل إرشادي.

فإن قلت: لو كان الأمر إرشادياً فلماذا عبّر عنه بالعصيان: ﴿**وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾ (طه: ١٢١)، ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّه ورَسُولَه فَإِنَّ لَه نَارَ جَهَنَّمَ**﴾ (الجن: ٢٣)؟

الجواب:

إن العصيان هنا مخالفة الطاعة الإرشادية فجلالة قدر الأنبياء وعِظم قدرهم وكِبر شأنهم يقتضي تعظيم ما يصدر عنهم أحيانا من ترك الأوّلى لعلوّ قدرهم وكثرة معرفتهم؛ ولذا ورد: «إن حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين» بل ربما يستقلّون ما يصدر عنهم من الطّاعات ويستحقرونه في جنب عظمة اللّه سبحانه؛ ولذا كان يصدر عنهم من التضرّع والبكاء والأنين ما لم يلحقهم فيها أحد من العالمين، فإنّ أعلم الخلق باللّه أخشاهم منه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر: ٢٨)[1].

فإن قلت: سماه غاوياً ﴿**فَغَوَى**﴾ والغيّ خلاف الرّشد؛ للآية: ﴿**قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: ٢٥٦)؟

الجواب: الغي يُستعمل أحيانا بمعنى الخيبة.

قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

أي: ومن حرم من الخير ولم يلقه لا يحمه الناس ويلومونه.

وتارة يستعمل الغي بمعنى الفساد: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾ أي: (فسد عليه عيشه)[2]، وهذا ما حدث: ﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ و﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ**

---

(١) تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين الروجردي ج ٥، ص ٣٩٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ج١٥، ص ١٤٠ (غوي).

وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ و﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.

وقيل: (فغوى إنّ الذي دخلته الفاء جزاء على المعصية وإنّ كلّ الجزاء المستحقّ بالمعصية إذ الظاهر من قول القائل: سرق فقطع وقذف فجلد ثمانين أنّ ذلك جميع الجزاء لا بعضه، وكذلك إذا قال القائل: من دخل داري فله درهم، فإنّ معناه أنّ الدّرهم جميع جزائه ولا يستحقّ بالدّخول سواه، ومن لم يفعل الواجب استحقّ الذّم والعقاب وحرمان الثواب، وأمّا من لم يفعل ما أرشده إليه وندبه فلا يستحقّ إلّا حرمان الثّواب فقط، وحيث إنّ مدخول الفاء تمام الجزاء، وقد سمعت أنّه الخيبة وعدم نيل المطلوب فلا بدّ أن يكون العصيان بترك الأوّلى)[1].

فإن قلت: إنّه أُخْرِجَ من الجنّة بسبب وسوسة الشيطان وإضلاله جزاء وعقوبة على ما أقدم عليه من المخالفة؟

الجواب: هذه الوسوسة ليست النفوذ كما في غير المعصومين عليهم السلام: ﴿**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾ (الناس: ٥) وأمّا وسوسة الشيطان بالنسبة إلى أبي البشر فلم تكن بصورة النفوذ والتسلّط بشهادة تعديته بلفظة (لهما) أو (إليه) وهذا التفاوت في التعبير يفيد الفرق بين الوسوستين، وإنّ كان إحداهما على نحو الدخول والولوج في الصدور، والأخرى بنحو القرب والمشارفة.

أضف إلى ذلك: أن الشيطان حلف لهما: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ ولم يعهد آدم عليه السلام أحداً يكذب من قبل.

فإن قلت: إنّه نسب إليه الهداية بعد التوبة في قوله: ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاه رَبُّه فَتَابَ**

---

(١) تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي ج٥، ص٤٠٢.

عَلَيْه وهَدى﴾ وظاهره أنّه كان قبل التوبة على الضّلالة.

الجواب: الهداية هنا ليست بمعنى أنه كان على الضلال ثم هداه بل بهدايته إلى نفسه بقرينة اجتباه، وهذا الفهم الخاطئ من البعض بسبب نسب هذه الآية لأدم عليه السلام وزوجه، وهو قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (الأعراف: ١٩٠ – ١٨٩) وفي الحقيقة لا يوجد أي دلالة على أنها نزلت فيهما كل ما هنالك أن فهم البعض نسبها لهم بسبب روايات موضوعة ولا يمكن قبولها؛ لأنه لا يجوز الشرك على من اصطفاه الله تعالى.

فإن قلت: إنّه عرضه النسيان؛ لقوله: ﴿**ولَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ لَه عَزْماً**﴾ والنسيان ينافي العصمة على مذهب الإماميّة؟

الجواب: النسيان بمعنى الترك: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ (التوبة: ٦٧) أي: تركهم، فقد ترك الأمر الإرشادي.

فإن قلت: لو كان النهي إرشادي فلماذا طلب التوبة وتاب الله تعالى عليه؟ وهو قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة: ٣٧).

الجواب: (تَابَ: عادَ إلى اللهِ ورَجَعَ وأَنَابَ)[1].

---

(١) تاج العروس، الزبيدي ج ١، ص٣٢٨ (توب).

فكأن آدمعليه السلام حين خالف النهي الإرشادي أبعده عن الله تعالى، وقد استعمل القرآن الكريم لفظ التوبة بمعنى الرجوع والرعاية: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٧) فإن التوبة هنا ليس بمعنى غفران الذنب، وإنما المقصود الرعاية الإلهية؛ ولذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه: ١٢٢) وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٣ – ٣٤).

فإن قلت: ما معنى إنهم من الظالمين؟ أليس الظلم حرام ويستحق مرتكبه النار: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والظالم ملعون: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه ويَبْغُونَها عِوَجاً وهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾ (هود: ١٨).

الجواب:

الظلم تارة يطلق على الشرك: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم﴾ (لقمان: ١٣)، وتارة على إفتراء الكذب على الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبا﴾ (الأنعام: ٩٣)، وتارة على الإدّعاء الكاذب: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ... إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِين﴾ (هود: ٣١)، وتارة على قتل النفس المحترمة بغير الحقّ، قال تعالى في قصّة ابنيّ آدم: ﴿إِني أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ

﴿أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٢٩)، وتارة على الزنا: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣)، وتارة على الحكم بغير ما أنزل الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥)، وتارة على كتمان الشهادة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ..﴾ (البقرة: ١٤) وغيرها، والظلم في الآية ظلم النفس وليس من قبيل هذه العناوين حتى يكون تعدى حدود الله تعالى وبالتالي يستحق العقوبة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٣) وحتى لو صح أن مخالفة ما هو الأوّلى أو المندوب إليه وضع للشيء في غير موضعه، فهو موجب لنقص الثّواب وعدول عن الطَّريق المؤدّي له إلى المراد.

فإن قلت: عبّر بالخاسرين؟

قلنا: الخاسرين أي: الباخسين نفوسهم ثواباً كثيراً والمفوتين نعيماً عظيماً، وعلى أي حال فإن آدم عليه السلام لم يُخلق ليسكن في الجنة -بغض النظر عن حقيقة تلك الجنة التي سكن فيها -بل ليكون خليفة في الأرض، فكانت دورة تدريبية ليتهيأ إلى الخلافة في الأرض فلابد أن تجري الأمور على هذا الحال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

وبهذا الفعل يتحقق المطلوب: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦) وهذا الهبوط مقامي: ﴿فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أي: تُحرم من هذا المقام والخروج من الجنة: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.

الآيات المتعلقة بالنبي لوط عليه السلام

كيف يعرض النبي لوط عليه السلام بناته على المشركين؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (هود: ٧٨).

الجواب:

وتقييد قوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ بقوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ شاهد صدق على أنه إنما عرض لهم مسهن عن نكاح لا عن سفاح، وحاشا مقام نبي الله عن ذلك؛ لإن السفاح لا طهارة فيه أصلاً، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الاسراء: ٣٢) بل يزوجهم وبشرط الإيمان.

ولو تنزلنا: فلعل من الجائز أن يكون تزويج المؤمنة بالكافر جائزاً في شريعته[١].

ما معنى منكرون، وما معنى سيء وضاق بهم ذرعا؟

وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا

---

(١) تفسير مجمع البيان، الطبرسي ج ٥، ص ٣١٥.

لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ (الحجر: ٦١ – ٦٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (هود: ٧٧).

الجواب:

إنما قال لهم لوط عليه السلام ذلك؛ لكونهم ظاهرين بصور غلمان مرد حسان وكان يشقه ما يراه منهم، ويعلم شأن قومه من الفاحشة: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ٧٨) وضاق صدره لعلمه بأنه عاجز عن دفع المكروه عنهم.

ونختم الحديث عن النبي لوط عليه السلام برواية عن الإمام الصادق عليه السلام طويلة نأخذ منها محل الشاهد في قصة لوط عليه السلام، قال: «... فاستوت الملائكة على خيلهم وقاربت مدائن لوط وقت المساء، فرأتهم رباب بنت لوط زوجة إسحاق عليه السلام وهي الكبرى وكانت تستقي الماء، فنظرت إليهم وإذا هم قوم عليهم جمال وهيئة حسنة فتقدمت إليهم، وقالت لهم: ما لكم تدخلون على قوم فاسقين! ليس فيهم من يضيفكم إلاّ ذلك الشيخ وإنه ليقاسي من القوم أمراً عظيماً – قال – وعدلت الملائكة إلى لوط وقد فرغ من حرثه فلما رآهم لوط اغتم لهم وفزع عليهم من قومه، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ولَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وقالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (هود: ٧٧) يعني شديد

شره، وقال في آية أخرى: ﴿فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾(الحجر: ٦٢) أنكرهم لوط كما أنكرهم إبراهيم عليه السلام، فقال لهم لوط عليه السلام: من أين أقبلتم؟ قال له جبرئيل عليه السلام ولم يعرفه: من موضع بعيد وقد حللنا بساحتك فهل لك أن تضيفنا في هذه الليلة وعند ربك الأجر والثواب؟ قال: نعم ولكن أخاف عليكم من هؤلاء القوم الفاسقين عليهم لعنة الله، فقال جبرئيل لإسرافيل عليهما السلام: هذه واحدة، وقد كان الله تعالى أمرهم أن لا يدمروهم إلا بعد أربع شهادات تحصل من لوط بفسقهم ولعنته عليهم، ثم أقبلوا عليه وقالوا: يا لوط قد أقبل علينا الليل ونحن أضيافك فاعمل على حسب ذلك، فقال لهم لوط: قد أخبرتكم أن قومي يفسقون ويأتون الذكور شهوة ويتركون النساء عليهم لعنة الله، فقال جبرئيل لإسرافيل: هذه ثانية. ثم قال لهم لوط: انزلوا عن دوابكم واجلسوا هاهنا حتى يشتد الظلام ثم تدخلون ولا يشعر بكم منهم أحد فإنهم قوم سوء فاسقين عليهم لعنة الله، فقال جبرئيل لإسرافيل: هذه الثالثة. ثم مضى لوط – بعد أن أسدل الظلام –بين أيديهم إلى منزله والملائكة خلفه حتى دخلوا منزله فأغلق عليهم الباب ثم دعا بإمرأته يقال لها (قواب) وقال لها: يا هذه إنك عصيت مدة أربعين سنة وهؤلاء أضيافي قد ملؤوا قلبي خوفا اكفيني أمرهم هذه الليلة حتى أغفر لك ما مضى. قالت: نعم. قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما﴾(التحريم: ١٠) ولم تكن خيانتهما في الفراش؛ لأن الله تعالى لا يبتلي أنبياءه بذلك ولكن خيانة إمرأة نوح عليه السلام أنّها كانت تقول لقومه: لا تضربوه لأنه مجنون وكان ملك قومه رجلا جباراً قوياً عاتياً يقال له: دوقيل بن عويل بن لامك بن جنح بن قابيل، وهو أول من شرب الخمر وقعد على الأسرّة، وأول من أمر

بصنعة الحديد والرصاص والنحاس، وأول من أتخذ الثياب المنسوجة بالذهب، وكان يعبد هو وقومه الأصنام الخمس: ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وهي أصنام قوم إدريس عليه السلام ثم اتخذوا في كثرة الأصنام حتى صار لهم ألف وتسع مائة صنم على كراسي الذهب وأسّرة من الفضة مفروشة بأنواع الفرش الفاخرة متوجين الأصنام بتيجان مرصّعة بالجواهر واللآلئ واليواقيت ولهذه الأصنام خدم يخدمونها تعظيما لها، وخيانة إمرأة لوط أنّها كانت إذا رأت ضيفاً نهاراً أدخنت، وإذا نزل ليلاً أوقدت فعلم القوم أن هناك ضيوفاً، فلما كان في تلك الليلة خرجت وبيدها سراج كأنها تريد أن تشعله وطافت على جماعة من قومها وأهلها وأخبرتهم بجمال القوم وبحسنهم -قال -فعلم لوط بذلك فأغلق الباب وأوثقه، وأقبل الفساق يهرعون من كل جانب ومكان وينادون حتى وقفوا على باب لوط ففزعوه،وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**وجاءه قَوْمُه يُهْرَعُونَ إِلَيْه**﴾ (هود: ٧٨) أي: يسرعون إليه: ﴿**ومِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ**﴾(هود: ٧٨) -قال -فناداهم لوط عليه السلام وقال: ﴿**يا قَوْمِ هؤُلاء بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾(هود: ٧٨) يعني بالزواج والنكاح إن آمنتم: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّه ولا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي**﴾ (هود: ٧٨) يعني: لا تفضحوني في ضيافتي أَلَيْسَ مِنْكُمْ يا قوم رَجُلٌ رَشِيدٌ؟ أي: حليم يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر، فقالوا له: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ**﴾(هود: ٧٩) أي: من حاجة ولا شهوة لنا فيهن: ﴿**وإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ**﴾(هود: ٧٩) يعني عملهم الخبيث وهو إتيان الذكور، ثم كسروا الباب ودخلوا، فقالوا: يا لوط ﴿**أَولَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ**﴾(الحجر: ٧٠) يعني: عن الناس أجمعين -قال -فوقف لوط على الباب دون أضيافه، وقال: والله لا أسلم أضيافي إليكم وفيَّ عرق يضرب دون أن تذهب نفسي أو لا أقدر على شيء،

وذلك معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠) فتقدم بعضهم إليه فلطم وجهه وأخذ بلحيته ودفعه عن الباب، فعند ذلك قال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ -قال -فرفع لوط عليه السلام رأسه إلى السماء وقال: إلهي خذ لي من قومي حقي والعنهم لعناً كثيراً، فقال جبرئيل لإسرافيل: هذه الرابعة. ثم قال جبرئيل: ﴿يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ (هود: ٨١) فأبشر ولا تحزن علينا، فهجم القوم عليه وهم يقولون: أَولَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ. أي لا تؤوي ضيفا، فرأوا جمال القوم وحسن وجوههم فبادروا نحوهم فطمس الله على أعينهم وإذا هم عمي لا يبصرون وصارت وجوههم كالقار وهم يدورون ووجوههم تضرب الحيطان، فذلك قوله تعالى: ﴿ولَقَدْ راوَدُوه عَنْ ضَيْفِه فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذابِي ونُذُرِ﴾ (القمر: ٣٧) -قال -وإذا نفر آخرون قد لحقوا بهم ونادوهم: إن كنتم قضيتم شهوتكم منهم فاخرجوا حتى ندخل ونقضي شهوتنا منهم، فصاحوا: يا قوم إن لوطا أتى بقوم سحرة لقد سحروا أعيننا فادخلوا إلينا وخذوا بأيدينا، فدخلوا وأخرجوهم وقالوا: يا لوط إذا أصبح الصبح نأتيك ونريك ما تحب فسكت عنهم لوط حتى خرجوا، ثم قال لوط عليه السلام للملائكة: بماذا أرسلتم؟ فأخبروه بهلاك قومه، فقال: متى ذلك؟ فقال جبرئيل عليه السلام: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: ٨١) فقال جبرئيل عليه السلام أخرج الآن -يا لوط -: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ (هود: ٨١) يعني: في آخر الليل: ﴿ولا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ (هود: ٨١) قوّاب[1] إِنَّه مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ من

---

(١) اسم زوجته.

العذاب. قال: فجمع لوط عليه السلام بناته وأهله ومواشيه وأمتعته فأخرجهم جبرئيل عليه السلام من المدينة، ثم قال جبرئيل عليه السلام: يا لوط قد قضى ربك أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين،فقالت له إمرأته: إلى أين تخرج - يا لوط - من دورك؟ فأخبرها أن هؤلاء رسل ربي جاؤا لهلاك المدن، فقالت: يا لوط وما لربك من القدرة حتى يقدر على هلاك هؤلاء المدائن السبع؟! فما استتمت كلامها حتى أتاها حجر من حجارة السجيل فوقع على رأسها فأهلكها -وقيل: إنها بقيت ممسوخة حجراً أسود عشرين سنة ثم خسف بها في بطن الأرض -وقال: وخرج لوط عليه السلام من تلك المدائن وإذا بجبرئيل الأمين قد بسط جناح الغضب، وإسرافيل قد جمع أطراف المدائن، ودردائيل قد جعل جناحه تحت تخوم الأرض السابعة، وعزرائيل قد تهيأ لقبض أرواحهم في حراب النيران حتى إذا برز عمود الصبح صاح جبرئيل الأمين بأعلى صوته: يا بئس صباح قوم كافرين، وصاح ميكائيل من الجانب الثاني: يا بئس صباح قوم فاسقين، وصاح إسرافيل من الجانب الثالث: يا بئس صباح قوم مجرمين،وصاح دردائيل: يا بئس صباح قوم ضالين، وصاح عزرائيل بأعلى صوته: يا بئس صباح قوم غافلين. قال: فقلع جبرئيل الأمين -طاوس الملائكة المطوق بالنور ذو القوة - تلك المدائن السبع عن آخرها من تحت تخوم الأرض السابعة السفلى بجناح الغضب حتى بلغ الماء الأسود ثم رفعها بجبالها ووديانها وأشجارها ودورها وغرفها وأنهارها ومزارعها ومراعيها حتى انتهى بها إلى البحر الأخضر الذي في الهواء، وسمع أهل السماء صياح صبيانهم ونبيح كلابهم وصقيع الديكة، فقالوا: من هؤلاء المغضوب عليهم؟ فقيل: هؤلاء قوم لوط عليه السلام، ولم تزل كذلك على جناح جبرئيل وهي ترتعد كأنها سعفة في ريح عاصف تنتظر متى يؤمر بهم، فنودي: در القرى

بعضها على بعض، فقلبها جبرئيل الأمين وجعل عاليها سافلها، فذ لك معنى قوله تعالى: ﴿**والْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى فَغَشَّاها ما غَشَّى**﴾(النجم: ٥٤) يعني: من رمي الملائكة لهم بالحجارة من فوقهم.

قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا**﴾ (هود: ٤٠) يعني: عذابنا ﴿**جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ**﴾(هود: ٨٢) يعني متتابع بعضه على بعض وكل حجر عليه إسم صاحبه -قال -فاستيقظ القوم وإذا هم بالأرض تهوي بهم من الهواء والنيران من تحتهم والملائكة تقذفهم بالحجارة وهي مطبوخة بنار جهنم وهي عليهم كالمطر فساء صباح المنذرين»[1].

قال تعالى: ﴿**ولُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلْمًا ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ**﴾ (الأنبياء: ٧٤).

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني ج ٤، ص ٣٢٠، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة - قم.

الآيات المتعلقة بالنبي داود عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٢ – ٢٣ – ٢٤ – ٢٥ – ٢٦).

الملاحظ في هذه الآيات الكريمة أن النبي داوود عليه السلام:

أولا: فزع داوود عند دخول الخصمان!

إيضاح القصة

كان داود عليه السلام جالساً في غرفته إذ دخل عليه شخصان بغير إذنه، وكانا أخوين يملك أحدهما تسعاً وتسعين نعجة ويملك الآخر نعجة واحدة، وطلب الأوّل من أخيه أن يعطيه النعجة التي تحت يده مدعياً كونه محقاً فيما يقترحه

على أخيه، وقد ألقى صاحب النعجة الواحدة كلامه على وجه هيّج رحمة النبي داود وعطفه، فقضى عليه السلام طبقاً لكلام المدعي من دون الاستماع إلى كلام المدعى عليه، وقال: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ ولما تنبّه أنّ ما صدر منه كان غير لائق بساحته، وأنّ رفع الشكوى إليه كان فتنة وامتحاناً منه سبحانه بالنسبة إليه: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

الجواب:

(إن) هذه ظرف لقوله: ﴿تَسَوَّرُوا﴾ كما أن ﴿إِذْ﴾ الأولى ظرف لقوله: ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ ومحصّل المعنى أنّهم دخلوا على داود وهو في محرابه لا من الطريق العادي بل بتسورهم بالإرتقاء إلى سوره والورود عليه منه؛ ولذا فزع منهم لما رآهم دخلوا عليه من غير الطريق العادي وبغير إذن وإن الخوف هو التأثير عن المكروه في مقام العمل بتهيئة ما يتحرز به من الشر ويدفع به المكروه لا في مقام الإدراك فليس برذيلة مذمومة لذاته بل هو حسن فيما يحسن الإتقاء. قال تعالى خطابا لرسوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ (الأنفال: ٥٨) وإذا كان الفزع هو الانقباض والنفار الحاصل من الشيء المخوف كان أمراً راجعاً إلى مقام العمل دون الإدراك فلم يكن رذيلة بذاته بل كان فضيلة عند تحقق مكروه ينبغي التحرز منه فلا ضير في نسبته إلى داود عليه السلام في قوله: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ وهو من الأنبياء الذين لا يخشون إلا الله[1]، وله نظير قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف: ٨٠).

---

(١) الميزان: ج١٧، ص١٩١.

وهذا ما حدث مع نبي الله ابراهيم عليه السلام عندما دخل عليه الملائكة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود: ٧٠).

ثانيا: هل أخطأ داوود في الحكم؟

الجواب:

التدبر في آيات الكتاب المتعرضة لقصة دخول المتخاصمين على داود عليه السلام لا يعطي أكثر من كونه امتحانا منه تعالى له عليه السلام في ظرف التمثل ليربيِّه تربية إلهية ويعلّمه رسم القضاء العدل فلا يجور في الحكم، ولا يعدل عن طريقة الحكم التي كتبها الله تعالى بسماع الطرفين. فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾[1] فحَكم داوود بدون أن يسمع الطرف الاخر؛ لأنه حكم بعلمه وهذا لا يخل بعدالة داوود ولا بحكمه هذا لأنه عليه السلام حكم بما يعلم، وقد قال جملة من الفقهاء بجواز أن يقضي القاضي بما يعلم ولم يحتج إلى البينة، ولكن الله تعالى لم يسمح لداوود عليه السلام أن يحكم بعلمه وإن كان حكمه صحيحاً ومطابقاً للواقع؛ لأنه مأمور بالحكم على طبق الظاهر كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي التهذيب عن سعد وهشام بن الحكم عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: « إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان وبعضكم ألحن بحجته من بعض وأيما رجل قطعت له من مال أخيه شيئا فإنما

(١) الميزان ج ١٧، ص ١٩١.

قطعت له قطعة من النار)[١].

فإن قلت: ماذا تفسرون ما ورد في قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف عندما يظهر فإن من خصوصياته أن يحكم بحكم داود عليه السلام حيث ورد عنهم عليهم السلام كما في الكافي عن مُحَمَّدٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام: (بِمَا تَحْكُمُونَ إِذَا حَكَمْتُمْ قَالَ بِحُكْمِ اللَّه وحُكْمِ دَاوُدَ فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْنَا الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَنَا تَلَقَّانَا بِه رُوحُ الْقُدُسِ)[٢].

قلنا: إن أكبر دليل على صحة ما حكم به داود عليه السلام وأنه لم يخطئ ما ورد في قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وإن من أهم صفاته أنه يحكم بحكم داود، ولو كان حكم داود مرفوضاً أو مستهجناً لمّا وصف حكم الإمام المهدي به، ولكن غاية الأمر أن داود حكم على طبق علمه وكان حكمه صحيحاً نتيجة. إلاّ أنه غير صحيح طريقاً بمعنى إنه كان ملزما باتباع الطريق الشرعي المعهود وهو مطالبة المدعي بالبينة، ولما علم داود بصدق دعوى المدعي اعتقد أنه لم يحتج إلى البينة فحكم بدونها.

وأما إمامنا المهدي عجل الله فرجه الشريف فمن خصوصيات حكمه أنه يحكم بالباطن كما روي في الوسائل، عن عبيدة بن الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام في حديث – قال: (إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه واله حكم بحكم داود عليه السلام لا

(١) الوافي، للفيض الكاشاني ج١٦، ص٩١٩.
(٢) الكافي، للكليني ج١، ص٣٩٨.

يسأل بينة)[١].

ثالثا: لِمَ ظنّ داوود النبي عليه السلام، ولم يكن على يقين؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ والقرآن يصرح: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (يونس: ٣٦).

الجواب:

قد استعمل القرآن الكريم لفظ الظن بمعنى العلم واليقين، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(البقرة: ٤٦) عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ «يعني يوقنون أنّهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون ويجزون بالثواب والعقاب، والظن ها هنا اليقين»[٢]، وداود عليه السلام علم أنها إنما كانت فتنة فتناه بها والفتنة الامتحان.

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام فعن أبي الصلت الهروي، قال: لمّا جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجراً. قام إليه علي بن محمد بن الجهم، فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: نعم إلى أن قال: فما تعمل في قول الله تعالى في داود: ﴿وظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاه﴾(ص: ٢٥) فقال له عليه السلام:

---

(١) الوسائل، للحر العاملي ج١٨، ب١ من كيفية الحكم ح٤، ص١٦٨.

(٢) البرهان في تفسير القرآن ج١، ص ٢٠٩.

فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون: إن داود عليه السلام كان يصلي في محرابه فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج في إثره فطار الطير إلى السطح، فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود في إثر الطير فإذا بإمرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها، وقد كان أخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه: أن قدم أوريا أمام التابوت فقدم فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود فكتب إليه ثانية: أن قدمه أمام التابوت فقدم فقتل أوريا (رحمه الله) فتزوج داود بإمرأته. قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته، وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله عليهم السلام إلى التهاون بصلاته حتى خرج في إثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل»، فقال: يا بن رسول الله فما كانت خطيئته؟ قال: «ويحك إن داود عليه السلام إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب، فقالا: ﴿**خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ ولا تُشْطِطْ، واهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ إِنَّ هذا أَخِي لَه تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً ولِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وعَزَّنِي فِي الْخِطابِ**﴾(ص: ٢٤) فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه، فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه، فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿**يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾(ص: ٢٦) إلى آخر

الآية. فقال: يا بن رسول الله فما كانت قصته مع أوريا؟ قال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، فأول من أباح الله له أن يتزوج بإمرأةٍ قتل بعلها داود عليه السلام، فتزوج بإمرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه، فذلك شق على [الناس من قبل] أوريا »[1].

كيف لا والقرآن الكريم صرح بشأن النبي داوود عليه السلام:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦).

وقال عز من قال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٩).

وقال عز من قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبا: ١٠).

وأخبر نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ* إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ* وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٧ – ١٨ – ١٩).

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ج ٤، ص٦٤٩.

الآيات المتعلقة بالنبي سليمان عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ*وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ *حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ* إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ

إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ١٥ - ٤٤).

الملاحظ في الآيات الكريمة التي تحدثت عن قصة النبي سليمان عليه السلام والهدهد وملك بلقيس:

أولا: كيف لا يعرف مكان الهدد؟

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾. كيف لنبي مثل سليمان لا يعلم أبسط الأمور وهو مكان الهدهد؟

الجواب:

من المعلوم أن الاستفهام والسؤال تارة يكون مع جهل السائل بالجواب، وتارة مع علمه ويسمى الاستفهام الاستنكاري، وهنا يمكن القول أن سليمان عليه السلام سأل من باب الاستنكار؛ لأنه يعلم بمكان الهدهد.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (النمل: ٢١) يعني هو يعلم به وبغيابه لكن يريد منه أن يقدم سبب غيابه عن المملكة، فلمّا قدِم الهدهد بيّن سبب غيابه فلم يعاقبه.

ثانيا: كيف خفي على النبي سليمان عليه السلام بما علمه الهدد، ولماذا أساء الظن بالهدد؟

الجواب:

أولاً: إن كان هذا الاحتمال المشار إليه موجوداً فهو ليس من الغفلة بل هو من عدم علم الغيب، ولا نتوقع من كل معصوم أن يكون مطّلعاً على كل شيء دفعة واحدة.

أو قل: لا نتوقع منه أن يعلم الغيب ما لم يُعلمه الله له.

ثانياً: إن الهدد غير معصوم ولا بأس بالشك فيه، وخاصة إذا أستلزم تصديقه أمور كثيرة ومهمة. كالذي حصل فعلاً إضافة إلى إمكان حمله على الجهة الإثباتية يعني تعريف الناس بصدقه؛ لكي لا يقولوا أن سليمان صدّق الهدد بغير دليل[1].

وقد روي عن إبراهيم عن أبيه عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم. قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه. قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله. قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل. قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره، فقال: ﴿**مالِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ**﴾ حين فقده وغضب عليه، فقال: ﴿**لأُعَذِّبَنَّه عَذاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّه أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ**﴾ وإنما غضب لأنه كان يدله على الماء. هذا وهو طائر قد أُعطي ما لم يعط لسليمان عليه السلام وكانت الريح والنمل والجن والإنس والشياطين والمردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿**ولَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِه الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِه الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِه الْمَوْتى**﴾(الرعد: ٣١) وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحيى

---

(١) رفع الشبهات ص٥٦.

به الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون وجعله الله لنا في أم الكتاب. إن الله يقول: ﴿وما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماء والأَرْضِ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾(النمل: ٧٥) ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢).

فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء»[١]

ثالثا: ألم يكن بمقدور سليمان عليه السلام الإتيان بعرش بلقيس؟ حتى يطلب ذلك من الملأ

وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل ٣٨ – ٤٠).

وحاصل الإشكال:

هل كان سليمان فعلاً لا يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس ملكة سبأ؟ وإذا قلنا

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ج٤، ص٢١٣.

(لا يقدر) أليس في هذا دليل كافي على جواز إمامة المفضول على الفاضل؟ وإلا فما وجه الحكمة من طلبه عليه السلام مع قدرته على إنجاز نفس العمل؟

الجواب:

الوجه في ذلك تعريف الآخرين في مختلف الأجيال بأن هذا المعنى ممكن وله عدة أساليب في الإنجاز وإن أصحابه وهم الأقل منه يستطيعون ذلك فكيف به؟ مضافاً إلى إمكان القول: إن التفضيل بالنبوة إنما يعتبر في علم آخر غير هذا العلم. أو قل: إنه يعتبر في العلم العقلي لا في العلم العملي وهي زيادة الكرامات والمعجزات، فإن مجرد زيادة ذلك لا يؤهله للنبوة. فمن الممكن أن يكون سليمان عليه السلام أكثر في العلم العقلي وأولئك أكثر في العلم العملي، ولا ينافي ذلك منصب النبوة والرسالة[1].

كيف ينشغل النبي سليمان عليه السلام عن ذكر الله تعالى؟

قال تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ**﴾ (ص: ٣٠ – ٣٢).

الجواب:

يوجد قولان:

---

(١) رفع الشبهات ص٥٦.

الأول: عن ابن عبّاس: سألت عليّاً عليه السلام عن هذه الآية، فقال: ما بلغك فيها يا ابن عبّاس؟ قلت: سمعت كعبا يقول: اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتّى فاتته الصلاة، فقال: ردّوها عليّ - يعني الأفراس - وكان أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها، فسلبه اللّه ملكه أربعة عشر يوما؛ لأنّه ظلم بقتلها، فقال عليّ عليه السلام: «كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم؛ لأنّه أراد جهاد العدوّ حتّى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر اللّه للملائكة: ردّوا الشمس عليّ فردّت فصلّى العصر في وقتها، وأنّ أنبياء اللّه لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم؛ لأنّهم معصومون مطهّرون»[1].

القول الثاني:

قال الشيخ السبحاني: « الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة » وكيف لا يكون خيراً وهو لم يزل يعد وسيلة الحياة في عامة الحضارات.

(حب الخير) : بدل عن المفعول المحذوف، وتقديره إنّي أحببت الخيل حبَّ الخير ويريد أنّ حبي للخيل نفس الحب للخير؛ لأنّ الخيل كما عرفت وسيلة نجاح الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية خصوصاً عند الجهاد مع العدو والهجوم عليه، ويحتمل أن يكون (حب الخير) مفعولاً لا بدلاً عن المفعول.

﴿**عَن ذِكرِ رَبِّي**﴾ بيان لمنشأ حبّه للخير وسببه وأنّ حبه له ناشيء عن ذكر ربّه.

---

(١) تفسير مجمع، البيان الشيخ الطبرسي ج ٨، ص٣٥٩.

وتقدير الجملة: أحببت الخير حبّاً ناشئاً عن ذكر الله سبحانه وأمره حيث أمر عباده المخلصين بالإعداد للجهاد ومكافحة الشرك وقلع الفساد بالسيف والخيل؛ ولأجل ذلك قمت بعرض الخيل كل ذلك امتثالاً لأمره سبحانه لا إجابة لدعوة الغرائز التي لا يخلو منها إنسان كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء والْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالْخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ والْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ**﴾.

ويجد نظير تلك الدعوة في الذكر الحكيم، قال سبحانه: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ فاعل الفعل في قوله: ﴿**حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾ أي الصافنات الجياد، والمقصود: إنّ الخيل أخذت بالركض حتى غابت عن بصره.

إنّ الضمير في قوله: (ردّوها) يرجع إلى الخيل التي تدل عليها الصافنات الجياد، والمقصود أنّه أمر بردّها عليه بعدما غابت عن بصره.

وعند ذلك يطرح السؤال، وهو: أنّه لماذا أمر بالرد وما كان الهدف منه؟ فبيّنه بقوله: ﴿**فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ**﴾ أي: شرع بمسح أعراف خيله وعراقيبها بيده تقديراً لركابها ومربيها الذين قاموا بواجبهم بإعداد وسائل الجهاد.

إلى هنا اتضح مفاد مفردات الآية وجملها، وعلى هذا تكون الآيات هادفة إلى تصوير عرض عسكري قام به أحد الأنبياء ذوي السلطة والقدرة في أيام ملكه وقدرته.

وحاصله: إنّ سليمان النبي (الذي أشار القرآن إلى ملكه وقدرته وسطوته وسيطرته على جنوده من الإنس والجن وتعرّفه على منطق الطير إلى غير ذلك من صنوف قدرته وعظمته التي خصها به بين الأنبياء) قام في عشية يوم بعرض عسكري وقد ركب جنوده من الخيل السراع، فأخذت تركض من بين يديه إلى أنْ غابت عن بصره، فأمر أصحابه بردّها عليه حتّى إذا ما وصلت إليه قام تقديراً لجهودهم بمسح أعناق الخيل وعراقيبها، ولم يكن قيامه بهذا العمل صادراً عنه لجهة إظهار القدرة والسطوة أو للبطر والشهوة بل إطاعة لأمره سبحانه، وذكره حتى يقف الموحدون على وظائفهم ويستعدوا للكفاح والنضال ما تمكنوا ويهيّئوا الأدوات اللازمة في هذا المجال، وهذا هو الذي تهدف إليه الآيات وينطبق عليها انطباقاً واضحاً [1].

مضافاً إلى ذلك أن صدر الآية صريح في بيان عبادة النبي سليمان عليه السلام: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ فكيف يمدحه ويثني على عبادته ثم يذمه.

بماذا فتن النبي سليمان عليه السلام؟ ثم أناب

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (ص: ٣٤).

اختلف المفسرون باختلاف الروايات بمعنى الجسد الذي أُلقي على كرسي النبي سليمان عليه السلام، نذكر أهمها:

---

(١) عصمة الأنبياء في القران الكريم، للشيخ السبحاني ص ١٧٦.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ سليمان عليه السلام قال: «لأطوفنّ الليلة على سبعين إمرأة تأتي كلّ واحدة بفارس يجاهد في سبيل اللّه، ولم يقل: إن شاء اللّه، فطاف عليهنّ فلم تحمل إلّا إمرأة واحدة جاءت بشقّ رجل، فو الّذي نفس محمّد بيده لو قال: إن شاء اللّه لجاهدوا فرساناً أجمعين»[1].

وروي عن الصادق عليه السلام: إن الجن والشياطين لما ولد لسليمان عليه السلام ابن قال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا من أبيه من البلاء فأشفق منهم عليه فاسترضعه في المزن، وهو: السحاب فلم يشعر إلا وقد وضع على كرسيه ميتا تنبيها على أن الحذر لا ينفع من القدر، وإنما عوتب على خوفه من الشياطين[2].

وروي أنّه لمّا تزوّج فاليخا ولد منها ابن وكان يحبّه، فنزل ملك الموت على سليمان -وكان كثيرا ما ينزل عليه -فنظر إلى ابنه نظراً حديداً، ففزع سليمان عليه السلام من ذلك، فقال لأمّه: إنّ ملك الموت نظر إلى ابني نظرة أظنّه قد أمر بقبض روحه، فقال: للجنّ [والشياطين] هل لكم حيلة في أن تفرّوه من الموت؟ فقال واحد منهم: أنا أضعه تحت عين الشّمس في المشرق، فقال سليمان عليه السلام: إنّ ملك الموت يخرج ما بين المشرق والمغرب، فقال واحد منهم: أنا أضعه في الأرض السّابعة، فقال: إنّ ملك الموت يبلغ ذلك، فقال آخر: أنا أضعه في السّحاب والهواء، فرفعه ووضعه على السّحاب، فجاء ملك الموت فقبض روحه

---

(١) صحيح البخاري ج ٣، ص ٢٠٩.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي ج ٨، ص ٣٦٠.

في السّحاب فوقع جسده ميّتا على كرسيّ سليمان عليه السلام، فعلم أنّه قد أخطأ فحكى اللَّه ذلك في قوله: ﴿وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ﴾»[1].

وروي أن سليمان بلغه خبر مدينة في البحر، فخرج إليها بجنوده تحمله الريح فأخذها وقتل ملكها وأخذ بنتاً له إسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً، فاصطفاها لنفسه وأسلمت فأحبها، وكانت تبكي على أبيها فأمر سليمان الشيطان فمثل لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تذهب إلى تلك الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدن له، فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة، ثم خرج وحده إلى بلاده وفرش الرماد وجلس عليه تائباً إلى الله تعالى، وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة إمرأة وضع خاتمه عندها، فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال: يا أمينة خاتمي، فتختم به وجلس على كرسي سليمان، فأتاه الطير والجن والإنس وتغيرت هيئة سليمان، فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته فطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت ويتكفف وإذا قال: أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه، ثم أخذ يخدم الصيادين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين، فمكث على هذه الحالة أربعين يوما عدد ما عبد الوثن في بيته، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان، فقلن: ما يدع إمرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة، وقيل: كان نفذ حكمه في كل شئ إلا فيهن، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر

---

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي ج١١، ص ٢٣٥.

فابتلعته سمكة و وقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله ورجع إلى ملكه وأخذ ذلك الشيطان فحبسهُ في صخرة وألقاها في البحر فهؤلاء قالوا: قوله: ﴿**وأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً**﴾ هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه عقوبة له)[1].

وغيرها من الأقوال والروايات الموضوعة التي لا تستحق أن تُذكر (تأبى عقول العلماء الراسخين في العلم قبوله، وقالوا: هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكّنون من مثل هذه الأفاعيل. كيف وتسليط اللّه إيّاهم على عباده حتّى يقعوا في تغيير الأحكام، وعلى نساء الأنبياء حتّى يفجروا بهنّ، وتمكينهم من التمثيل بصورة النبيّ ومن القعود على سريره قبيح.

وأيضا لا يجوز عقلا أن تكون النبوّة في الخاتم، ويسلبها عن النبيّ عند الخلع)[2].

الخلاصة: قيل: المراد بالجسد الملقى على كرسيه هو سليمان نفسه لمرض امتحنه الله به، وتقدير الكلام ألقيناه على كرسيه جسداً. أي: كجسد لا روح فيه من شدة المرض. وفيه أن حذف الضمير من ﴿**وأَلْقَيْنا**﴾ وإخراج الكلام على صورته التي في الآية الظاهرة في أن الملقى هو الجسد مخل بالمعنى المقصود لا يجوز حمل أفصح الكلام عليه، ولسائر المفسرين أقوال مختلفة في المراد من الآية تبعا للروايات المختلفة الواردة فيها، والذي يمكن أن يؤخذ من بينها

---

(١) تفسير الرازي ج ٢٦، ص٢٠٧.

(٢) زبدة التفاسير ج ٦، ص ٣٠.

إجمالا أنه كان جسد صبي له أماته الله وألقى جسده على كرسيه، ولقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ إشعار أو دلالة على أنه كان لهعليه السلام فيه رجاء أو أمنية في الله فأماته الله سبحانه وألقاه على كرسيه، فنبهه أن يفوض الأمر إلى الله ويسلم له)[1].

وكيف كان فلا سبيل إلى معرفة ما معنى الجسد الذي أُلقي على كرسيه وما الحكمة من ذلك، وهو لا يعد إشكالاً أو مخالِفا للعصمة وإنما ذكرناه من باب ذكر الروايات الموضوعة المشهورة.

هل كان النبي سليمان عليه السلام بخيل في دعائه هذا؟

وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: ٣٥).

الجواب:

أي: من دوني ولا يستلزم منه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعم حيث استعطى اللَّه ما لا يعطيه غيره؛ لأنّهعليه السلام كان ناشئا في بيت الملك والنبوّة وارثاً لهما، فأراد أن يطلب معجزة فطلب على حسب ألفه ملكاً زائداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حدّ الإعجاز؛ ليكون ذلك دليلاً على نبوّته قاهراً للمبعوث إليهم وأن يكون معجزة تخرق العادات.

فذلك معنى قوله: ﴿لَايَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ -إنّه التمس معجزة

---

(١) تفسير الميزان ج ١٧، ص٢٠٤.

يختصّ بها كما أنّ موسى اختصّ بالعصا واليد واختصّ صالح بالناقة ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلّم بالمعراج والقرآن -.

وقيل: كان مُلكاً عظيماً، فخاف أن يعطى أحد مثله فلا يحافظ على حدود اللّه فيه.

ويجوز أن يقال: علم اللّه فيما اختصّه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين، وعلم أنّه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه، فأمره أن يستوهبه إيّاه فاستوهبه بأمر من اللّه على الصفة الّتي على اللّه أنّه لا يضبطه عليها إلّا هو وحده دون سائر عباده.

أو أراد أن يقول: ملكاً عظيماً، فقال: ﴿**لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**﴾. ولا يقصد بذلك إلّا عظمة الملك وسعته، كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربّما كان للناس أمثال ذلك، ولكنّك تريد تعظيم ما عنده. وكيف يكون نبيّ اللّه موصوفا بالصفات السيّئة الرديئة كالحسد والضنّة والمنافسة، والحال أنّ الغرض من بعثة الأنبياء تزكيتهم عن الأخلاق السيّئة المذمومة وتعليمهم الأخلاق الحسنة المرضيّة؟! فكيف أمروا بما لم يتّصفوا به؟ وما ذلك إلّا اعتقاد الزنادقة، ومنهم الحجّاج لعنه اللّه حين قيل له: إنّك حسود، فقال: أحسد منّي من قال: ﴿**هَبْ لِي مُلْكًا**﴾، ومن جرأته على اللّه وشيطنته أنّه قال: طاعتنا على العباد أوجب من طاعة اللّه عليهم؛ لأنّه شرط في طاعته فقال: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّه مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ (التغابن: ١٦) وأطلق طاعتنا فقال: ﴿**وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ (النساء: ٥٩)[1].

(١) زبدة التفاسير ج٦، ص٣١.

وروي عن علي بن يقطين، قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أيجوز أن يكون نبي الله عز وجل بخيلا؟ فقال: «لا. فقلت له: فقول سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ ما وجهه وما معناه؟ فقال: الملك ملكان: ملك مأخوذ بالغلبة والجور واختيار الناس، وملك مأخوذ من قبل الله تبارك وتعالى، كملك إبراهيم وملك طالوت وملك ذي القرنين، فقال سليمان عليه السلام: هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول: إنه مأخوذ بالغلبة والجور واختيار الناس، فسخّر الله تبارك وتعالى له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وجعل غدوها شهراً ورواحها شهراً، وسخّر له الشياطين كل بناء وغواص، وعلّم منطق الطير ومكّن في الأرض، فعلم الناس في وقته وبعده أن ملكه لا يشبه ملك الملوك المختارين من قبل الناس والمالكين بالغلبة والجور. قال: فقلت له: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله أخي سليمان ما كان أبخله! فقال عليه السلام: لقوله وجهان: أحدهما: ما كان أبخله بعرضه، وسوء القول فيه! والوجه الآخر: يقول: ما كان أبخله إن كان أراد ما يذهب إليه الجهال»[1]، وحاشاه النبي من ذلك.

وقيل: إنّما التمس أن يكون ملكه آية لنبوته؛ ليتبين بها عن غيره ممّن ليس بنبي، وقوله: ﴿لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ أراد به لا ينبغي لأحد غيري ممّن أنا مبعوث إليه، ولم يرد من بعده إلى يوم القيامة من النبيين[2].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ج ٤، ص٦٥٥.

(٢) تنزيه الأنبياء ص ١٠٠.

وبالختام تعال لننظر ماذا قال القرآن في النبي سليمان عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: ٣٥ – ٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (الأنبياء: ٨١ – ٨٢).

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٢ – ١٣).

وقال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٨ – ٧٩).

الآيات المتعلقة بالنبي يونس عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧ – ٨٨).

على من غضب النبي يونس عليه السلام، وما معنى لن نقدر عليه، وكيف يصف نفسه من الظالمين؟

الجواب:

دعا يونس عليه السلام قومه إلى عبادة اللَّه تعالى، فلم يستجيبوا لدعوته فضاق صدره بهم وهاجر مغاضبا عليهم، وظن أي: تيقن أن الله تعالى لن يُقَدّر عليه رزقه، أي: يضيق عليه بعد أن أدى ما عليه من تبليغ قومه، ويوجد جملة من الآيات الكريمة التي تدل على معنى القدر التضييق بالرزق لا بمعنى القدرة ولعله مطلق الرزق، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ (الفجر: ١٦).

قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الاسراء: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٦٢).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الروم: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبا: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبا: ٣٩).

سُئِلَ الإمام الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضبا لقومه فظن بمعنى استيقن: ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن نضيق رزقه، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾(الفجر: ١٦) أو ضيق وقتر: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت فاستجاب الله له وقال عز وجل: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(الصافات: ١٣٤ – ١٤٤) فقال المأمون: لله درك أبا الحسن...[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق ج١، ص ١٧٩.

إذا كان الأمر كذلك فلماذا عاقبه الله تعالى؟

وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ (الصافات: ١٤١ – ١٤٥).

الجواب:

أشارت الرواية الماضية على أنه ترك التسبيح فعوقب، فعاد إليه في بطن الحوت.

وقيل: إن النبي يونس عليه السلام حين رجع لينظر ماذا فعل بهم العذاب فوجدهم أحياء لأنهم آمنوا حين رأوا أمارات العذاب لا العذاب نفسه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾ (غافر: ٨٤)،وهذا ما حدث مع فرعون حين رأى العذاب آمن فلم ينفعه إيمانه: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (يونس: ٩٠ – ٩١) فكشفه الله عنهم، وهو قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾ (ص: ٩٨).

فطلبوا يونس ليؤمنوا به فلم يجدوه، وقد ورد هذا المعنى في روايات أهل البيت عليهم السلام، عن جميل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما ردّ الله العذاب إلا عن

قوم يونس وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام فيأبوا ذلك، فهّم أن يدعو عليهم وكان فيهم رجلان عابد وعالم وكان إسم أحدهما مليخا والآخر إسمه روبيل، فكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهاه ويقول لا تدع عليهم فإن الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم، فدعا عليهم فأوحى الله عز وجل إليه يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا في شهر كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم، فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب، فقال العالم لهم: يا قوم افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم، فقالوا: كيف نصنع؟ قال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة وفرقوا بين النساء والأولاد وبين الإبل وأولادها وبين البقر وأولادها وبين الغنم وأولادها ثم ابكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجوا وبكوا فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب وفرّق العذاب على الجبال وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس لينظر كيف أهلكهم الله فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم، قال لهم: ما فعل قوم يونس؟ فقالوا له: ولم يعرفوه أن يونس دعا عليهم فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم فاجتمعوا وبكوا ودعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرّق العذاب على الجبال فهم إذا يطلبون يونس ليؤمنوا به، فغضب يونس ومر على وجهه مغاضبا لله كما حكى الله حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت وأرادوا أن يدفعوها فسألهم يونس أن يحملوه فحملوه، فلما توسطوا البحر بعث الله حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة من قدامها، فنظر إليه يونس ففزع منه وصار إلى مؤخر السفينة، فدار إليه الحوت وفتح فاه فخرج أهل السفينة، فقالوا: فينا عاص

فتساهموا فخرج سهم يونس، وهو قول الله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء[١].

وقيل: إن النبي يونس عليه السلام لم يقصّر في تبليغ قومه بل لعله كان من الأوّلى أن ينتظر حتى رؤية علامات العذاب لعل قومه يؤمنوا فهو ترك الأوّلى؛ ولذا قال تعالى لرسوله النبي صلى الله عليه وآله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ...﴾ (القلم: ٤٨ – ٤٩ – ٥٠).

وقيل: ما قاله أهل المعرفة من ظنه بأنه متكامل إلى درجة لايحتاج معه إلى امتحان إلهي جديد مع أنه كان بحاجة إلى ذلك ، ومن هنا قهره الله سبحانه وتعالى بامتحان الحوت، ويمكن أن يكون (نقدر) يعني: نقلل، فيكون المراد أنه ظن أن لن يقلل الله عليه فضله وهذا صحيح، وإنما حبسه الله تعالى في الحوت ليس لأجل ذلك؛ بل لكونه ترك دعوة نبوته قبل موعدها الحقيقي[٢]

فإن قلت: لماذا حذر الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله أن لا يكون كصاحب الحوت، أهذه منقصة للنبي يونس عليه السلام؟

الجواب:

(فليس على ما ظنه الجهال من أنّه عليه السلام ثقل عليه أعباء النبوة لضيق خلقه فقذفها، وإنما الصحيح أن يونس لم يقوى على الصبر، أي: تلك المحنة التي ابتلاه الله تعالى بها وعرضه لنزولها به لغاية الثواب، فشكى إلى الله تعالى منها

---

(١) تفسير القمي ج ١، ص ٣١٨.

(٢) رفع الشبهات عن الأنبياء مصدر سابق.

وسأله الفرج والخلاص، ولو صبر لكان أفضل، فأراد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله أفضل المنازل وأعلاها)[١] ولا ضير في ذلك لاختلاف مقاماتهم كما صرح القرآن الكريم بذلك: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾[٢].

(١) تنزيه الأنبياء الشريف المرتضى ص١٤٤.

(٢) الاسراء: ٥٥.

الآيات المتعلقة بالنبي أيوب عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤١ – ٤٤).

الملاحظ في الآيات الكريمة أن النبي أيوب عليه السلام مسه الشيطان بنصب وعذاب، فكيف يتسلط الشيطان على الأنبياء وهم عباد الله المُخلَصين؟ كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٣٩ – ٤١).

الجواب:

قيل: (إنما كانت بلية أيوب التي ابتلي بها في الدنيا؛ لنعمة أنعم الله بها عليه فأدى شكرها، وكان إبليس في ذلك الزمان لا يحجب دون العرش، فلما صعد عمل أيوب بأداء شكر النعمة حسده إبليس، فقال: يا رب إن أيوب لم يؤد شكر هذه النعمة إلاّ بما أعطيته من الدنيا، فلو حلت بينه وبين دنياه ما أدى إليك شكر نعمة، فسلطني على دنياه حتى تعلم أنه لا يؤدي شكر نعمة، فقال: قد سلطتك على دنياه، فلم يدع له دنيا ولا ولدا إلا أهلك كل ذلك وهو يحمد الله عز وجل،

ثم رجع إليه فقال: يا رب إن أيوب يعلم أنك سترد إليه دنياه التي أخذتها منه فسلطني على بدنه حتى تعلم أنه لا يؤدي شكر نعمة، قال: قد سلطتك على بدنه ما عدا عينيه وقلبه ولسانه وسمعه، قال: فانقض مبادراً خشية أن تدركه رحمة الله عز وجل فتحول بينه وبينه، فنفخ في منخريه من نار السموم فصار جسده نقطا نقطا)[١].

وقيل: إن أيوب عليه السلام لما جهده البلاء، قال: لأقعدن مقعد الخصم، فأوحى الله إليه: تكلم، فجثى على الرماد وقال: يا رب إنك تعلم أنه ما عرض لي أمران قط كلاهما لك فيه رضى إلا اخترت أشدهما على بدني. فنودي من غمامة بيضاء بستة آلاف لغة: فلمن المن؟ فوضع الرماد على رأسه وخر ساجداً ينادي: لك المن سيدي ومولاي، فكشف الله ضره[٢].

والمختار:

من المؤكد أن الشيطان لا سبيل له على عباد الله المُخلَصين؛ فلذلك استغل الشيطان ابتلاء النبي أيوب عليه السلام ومرضه، فوسوس للناس حتى ابتعدت عن النبي أيوب عليه السلام ليتجنبوا الاقتراب منه وابتعادهم وطعنهم فيه بأنه لو كان نبياً لم تحط به البلية من كل جانب ولم يصر إلى ما صار إليه من العاقبة، فقوله: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله ابتلى أيوب بلا ذنب فصبر حتى عُيِّر،

---

(١) مجمع البيان ج ٧، ص٤٧٦. البرهان ج ٤، ص٦٦٢ مثله.

(٢) فقه الرضا عليه السلام ابن بابويه القمي ص٣٧٢.

وإنّ الأنبياء لا يصبرون على التعيير»،[١] وقيل قد وسوس حتى لزوجته، عن ابن عبّاس: إنّ إبليس تصوّر لها بصورة طبيب وقال لها: أنا أداوي أيّوب على أنّه إذا برئ قال: أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فذكرت المرأة ذلك لأيّوب، فحلف باللّه لئن عافاه اللّه ليجلّدنّها مائة جلدة، وعند هذه الواقعة قال: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾[٢] وهو سبب حلفه على أن يجلد زوجته، قوله تعالى: ﴿**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ فأوحى الله تعالى إليه: ﴿**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ**﴾ فأخذ مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة فخرج من يمينه..[٣].

ويؤيد ذلك أنه عليه السلام لم يمسه ضراً من الشيطان، قوله تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ (الأنبياء: ٨٣ – ٨٤).

وفي الختام نعرض بعض الألقاب التي لُقب بها النبي أيوب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (الأنعام: ٨٤ – ٨٥).

ففي هذه الآية الكريمة لُقب بأنه من المُحسِنِينَ، وأنه لمن الصّالِحِينَ، فكيف نقبل لمن لقبه الله تعالى بهذه الألقاب أن يشكو البلاء؟! ويمسه الشيطان؟!

---

(١) بحار الأنوار ج١٢، ص٣٤٧ نقلاً عن أنوارلا التنزيل.

(٢) بحار الأنوار ج ١٢، ص ٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار ج١٢، ص٣٤٤.

الآيات المتعلقة بالنبي يعقوب عليه السلام

لماذا كان النبي يعقوب عليه السلام يفضلهما على سائر إخوتهم، ومقتضى العدالة أن يرعاهم بحنان واحد؟

وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف: ٨).

الجواب:

أولاً: كانا يوسف عليه السلام وبنيامين صغيرين ويتيمين فلابد من الرعاية الخاصة.

وثانياً: بما أنهم صغار كان زمام العمل بيد الكبار دونهما، وكانت عدتهم عشرة وهم رجال أقوياء بيدهم تدبير بيت أبيهم يعقوب عليه السلام وإدارة مواشيه وأمواله كما يدل عليه قولهم: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ فدفعهم حسدهم وحقدهم لهما وغيظهم على أبيهم يعقوب عليه السلام في حبه لهما أكثر منهم فقالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قضاء منهم على أبيهم بالضلال، وهذا مردود عليهم فهم دخلوا في أوسع أبواب العقوق.

ثالثاً: بالنسبة إلى يوسف عليه السلام فكان النبي يعقوب عليه السلام يتفرس منه النبوة والمقام السامي الذي ينتظر يوسف عليه السلام لا لهوى نفساني وعاطفي، فلابد من الحفاظ عليه.

مضافاً إلى هذا أن الخطاب إتهام منهم لأبيهم ولادليل يثبت دعواهم، والدليل اعترافهم الخطئة والجرم الذي ارتكبوه بحق أبيهم وأخويهم: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (يوسف: ٩٧، ٩٨).

كيف يغرر النبي يعقوب عليه السلام بولده يوسف عليه السلام ؟

وهو قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾ (يوسف: ١٣).

الجواب:

(... لما رأى من بنيه ما رأى من الأيمان والعهود والاجتهاد في الحفظ والرعاية لأخيهم ظن مع ذلك السلامة وغلّبة النجاة بعد ماكان مغلِبا لغير السلامة وقوي في نفسه أن يرسله معهم إشفاقاً من إيقاع الوحشة والعداوة بينهم؛ لأنه إذا لم يرسله مع الطلب منهم والحرص علموا أن سبب ذلك هو التهمة لهم والخوف من ناحيتهم فاستوحشوا منه ومن يوسف عليه السلام،وإنصاف هذا الداعي إلى ما ظنه من السلامة والنجاة فأرسله) [(١)].

هل كان حزن النبي يعقوب عليه السلام جزعا؟

وهو قوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ (يوسف: ٨٤).

---

(١) تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى ص ٦٩، الطبعة الثانية دار الأضواء بيروت.

الجواب:

لم يكن حزنه عليه السلام جزعاً؛ بل لأجل الفراق المؤلم وليس فيه أي محذور، وما كان يسره في قلبه من الحزن أعظم وأكثر مما كان يظهر عليه بدليل نفس الآية الكريمة: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

وهذا ماجرى على النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله حين فقد ولده إبراهيم حيث قال: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَانَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُون»[1].

(١) الكافي (ط - دارالحديث) ج٥، ص٦٤٥.

الآيات المتعلقة بالنبي يوسف عليه السلام

لا يسعني الدخول في قصة يوسف الصديق عليه السلام التي وصفها تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف: ٣)؛ لأنها تخرجنا عن الموضوع، ولكن نقول: تهيأت ليوسف عليه السلام كل الأسباب وكل أجواء الانحراف: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف: ٢٣) وهذا هو الامتحان الحقيقي وأعظم ما ابتلي به جماله: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ٣١)، وكل ما كانوا يكيدون له كيداً انطلق من الكيد إلى العلو والسمو. ألقوه في البئر فقذفه البئر إلى قصر عزيز مصر: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، ورموه في السجن فقذفه السجن ليكون عزيز مصر: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهكذا فإن فيها أروع العبر والدروس.

ما معنى أن يوسف الصديق عليه السلام همّ بإمرأة العزيز؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

الجواب:

لقد قيل في هذه الشبهة أقوال عدة، نختار أشهرها ونرّد عليها:

قيل: همّ بالفاحشة – معاذ الله – ولكنه رأى يعقوب النبي عليه السلام عاضاً على

إصبعه. روي عن محمد بن قيس عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إن يوسف لما حلّ سراويله رأى مثال يعقوب قائماً عاضاً على إصبعه، وهو يقول له: يا يوسف! فهرب»[١].

ويرد عليه:

١) إنها معارضة بهذه الرواية: روي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «أي شيء يقول الناس في قول الله عز وجل: ﴿**لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّه**﴾؟

قلت: يقولون: رأى يعقوب عاضاً على إصبعه

فقال: لا، ليس كما يقولون.

قلت: فأي شيء رأى؟

قال: «لما همّت به وهمّ بها قامت إلى صنم معها في البيت فألقت عليه ثوبا، فقال لها يوسف: ما صنعت؟

قالت: طرحت عليه ثوباً أستحي أن يرانا.

فقال يوسف: فأنت تستحين من صنمك وهو لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي أنا من ربي؟!»[٢].

فإن قلتَ: إنّ يوسف عليه السلام همّ بفعل المعصية وكان غافلاً، فلمّا غطت المرأة الصنم تنبه من غفلته.

---

(١) تفسير البرهان ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) تفسير البرهان ج٣، ص ١٦٥.

قلتُ: الرواية واضحة الدلالة على أنه يستنكر فعلها، وهو من باب التوبيخ والاعتراض على إمرأة العزيز المستفاد من قوله عليه السلام: «فأنت تستحين من صنمك وهو لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي أنا من ربي» فهذا من باب الاستنكار لا من باب الاستذكار.

والمختار:

مقدمة قصيرة: لمّا همت المرأة بالفاحشة بماذا همّ نبي الله يوسف عليه السلام؟

في المقام احتمالات أربعة:

١) هل هي الفاحشة؟ وحاشاه.

٢) أم قتلها؟

٣) أم ضربها؟

٤) أم همّ بأن لا يفعل؟

فنقول: هل الفاحشة مع كل تلك الظروف المساعدة على ارتكاب اللذة الشهوية المحرمة سالبة للاختيار ويقع صاحبها في دائرة الجبر بغض النظر أن يكون معصوماً أو غير معصوم؟

فإن قلتَ: نعم سالبة للاختيار.

قلتُ: هذا تكليف بغير المقدور، وهو مرفوع: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ (البقرة: ٢٨٦).

فإن قلتَ: لا أنه غير مجبور بل مكلّف.

قلتُ: فإن لم يكن مجبوراً وله الحرية والاختيار، فأي مؤمن يخاف ربه الذي قد برأه لا يفعلها، فكيف يفعلها نبي صديق مخلص ومجتبى ومحسن عليم وحكيم وكريم بشهادة الله والناس من المخالف والمؤالف.

فبقيت الاحتمالات الثلاثة: (الهمّ بالضرب أو القتل أو أن لا يفعل) وكلها لا محذور فيها.

ومن خلال هذا البيان لمفردة (همّ) والاحتمالات المدفوع أولها (الفاحشة) اتضح قوله تعالى: ﴿**لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّه**﴾ العلم اليقيني المساوق للعصمة ودلنا عليه نجاحه بالاختبار.

ويؤيد ذلك عدة أمور:

١) صرف الله تعالى عنه عليه السلام السوء والفحشاء: ﴿**كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ**﴾.

٢) وقد استخلصه الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾.

٣) وقد اجتباه الله تعالى، وعلمه منه علما: ﴿**وكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ويُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ**﴾.

٤) ومما يؤيد أنّه عليه السلام لم يهم بالمعصية قوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ..** ﴾.

٥) شهادة إمرأة العزيز له بالعصمة: ﴿**..وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**﴾.

٦) شهادة إمرأة العزيز بالمحكمة العليا: ﴿**..قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ (يوسف: ٥١).

٧) شهادة النسوة ببراءة يوسف أمام المحكمة: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ (يوسف: ٥١).

٨) شهادة النسوة له بأنه مَلَك: ﴿..حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ...﴾.

٩) شهادة شاهد من أهلها وشهادة زوجها: ﴿شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ* وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ* فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٢٦ – ٢٨).

١٠) ويؤيد ذلك ما روي عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليهما السلام، فقال له المأمون: يا بن رسول الله أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. وذكر الحديث إلى أن قال فيه: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّه﴾.

فقال الرضا عليه السلام: «لقد همت به، ولو لا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها كما همّت به لكنه كان معصوماً، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام أنّه قال: همت بأن تفعل، وهم بأن لا يفعل»، فقال المأمون: لله درك، يا أبا الحسن[1].

---

(١) تفسير البرهان ج ٣، ص ١٦٩.

هل معنى الآية الكريمة إنه دعا ربه أن يدخله السجن حتى لا ينزل إلى رغبتهن؟

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣).

الجواب:

تفاوضت إمرأة العزيز والنسوة فقالت وقلن واسترسلن في بث ما في ضمائرهن، ويوسف عليه السلام واقف أمامهن يدعونه ويراودنه عن نفسه لكن يوسف عليه السلام لم يلتفت إليهن ولا يكلمهن بكلمة. بل: رجع إلى ربه الذي ملَك قلبه بقلب لا مكان فيه إلا له ولاشغل له إلا به. هذا ليس بدعاء على نفسه بالسجن وأن يصرف الله عنه ما يدعونه إليه بإلقائه في السجن، وإنما هو بيان حال لربه وأنّه عن تربية آلهية يرجّح عذاب السجن في جنب الله على لذة المعصية والبعد منه، فهذا الكلام منه نظير ما قاله لإمرأة العزيز حين خلت به وراودته عن نفسه: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون، ففي الكلامين معاً تمنّع وتعززّ بالله، وإنما الفرق إنه يخاطب بأحدهما إمرأة العزيز وبالآخر ربه القوى العزيز، وليس شئ من الكلامين دعاء البتة، وفي قوله: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾.. الخ نوع توطئة لقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾.. الخ الذي هو دعاء في صورة بيان الحال.

فمعنى الآية رب إني لو خيرت بين السجن وبين ما يدعونني إليه لاخترت السجن على غيره، وأسألك أن تصرف عني كيدهن فإنك إن لا تصرف عني

كيدهن أنتزع وأمل إليهن وأكن من الجاهلين، فإني إنما أتوقى شرهن بعلمك الذي علمتنيه وتصرف به عني كيدهن فإن أمسكت عن إفاضته عليَّ صرت جاهلاً ووقعت في مهلكة الصبوة والهوى[١].

كيف يحبس يوسف عليه السلام أخاه بنيامين، أليس هذا إلحاق الأذى بأبيه؟

الجواب:

نقول: هذا من قبيل العلاج الذي يأخذه الإنسان المريض أحياناً يكون ألمه أشد من ألم المرض نفسه كما في شرب الحنظل أو العلاج بالكي لكن للخلاص من الألم نهائياً، وهذا معقول كما هو في باب التزاحم بين الأهم والمهم.

كيف يرضى النبي يوسف عليه السلام أن يسجدوا له؟ وهو لا يجوز إلا لله

وهو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ (يوسف: ١٠٠).

الجواب:

إن سجود يعقوب وإخوة يوسف وأمهم كان لله سبحانه إلاّ أن يوسف كان -بمثابة الكعبة -قبلة لهم، ولهذا جاء في بعض تعابير العرب قولهم: فلان صلى للقبلة[٢].

---

(١) الميزان ج ١١، ص ١٥٢.

(٢)راجع تفسير الميزان، وتفسير الفخر الرازي، وغيرها ذيل الآية محل البحث.

كيف ينسب النبي يوسف عليه السلام لإخوته السرقة؟ والحقيقة أنهم غير سارقين

وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (يوسف: ٧٠).

الجواب:

إنّ يوسف عليه السلام إنّما عنى إنّكم سرقتم يوسف من أبيه وألقيتموه في الجبّ، وهذه تورية وليس كذب وإتهام ولم يقصد الصاع.

ويؤيده سئل أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله في يوسف: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قال: «إنهم سرقوا يوسف من أبيه ألاّ ترى أنه قال لهم حين قالوا وأقبلوا عليهم: ماذا تفقدون؟ قالوا: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ ولم يقولوا: سرقتم صواع الملك. إنما عنى إنكم سرقتم يوسف من أبيه»[1].

هل كان يوسف عليه السلام سارق لشيء من قبل؟ كما قالوا إخوته حين اتهم بنيامين بسرقة صواع الملك

وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ٧٧).

الجواب:

لما وضع يوسف عليه السلام صواع الملك في رحل أخيه بنيامين؛ ليبقيه عنده كما

---

(١) تفسير البرهان ج٣، ص١٨٤.

كان هذا قانون عندهم من يسرق يُستعبد، فقالوا إخوته لا عجب أن يسرق بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يعني يوسف عليه السلام، وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «كانت لإسحاق النبي عليه السلام مَنطقة يتوارثها الأنبياء والأكابر، فكانت عند عمة يوسف عليه السلام، وكان يوسف عندها وكانت تحبه فبعث إليها أبوه أن ابعثيه إليَّ وأرده إليك، فبعثت إليه أن دعه عندي الليلة لأشمه ثم أرسله إليك غدوة، فلما أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حقوه وألبسته قميصا وبعثت به إليه، وقالت: سُرقت المنطقة فوجدت عليه، وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دفع إلى صاحب السرقة فأخذته فكان عندها[1].

والمقصود بقولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا الإتهام بسبب هذه الحادثة.

هل الاعتراف بالسوء من كلام يوسف عليه السلام، أو من كلام امرأة العزيز؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيم﴾ (يوسف: ٥٣).

الجواب:

هذه الآية تتمة لكلام إمرأة العزيز كما يؤكده السياق، وليس من كلام النبي يوسف عليه السلام، وحينها كان يوسف بالسجن وهي تدلو بشهادتها أمام الملك، بغياب يوسف.

---

(١) تفسير العياشي ج ٢، ص١٨٦.

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ*ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ *وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: ٥١ – ٥٣).

أعني: قوله ذلك: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾.. الخ من تمام كلام إمرأة العزيز، والمعنى على هذا أن إمرأة العزيز لمّا اعترفت بذنبها وشهدت بصدقه قالت ذلك، أي: اعترافي بأني راودته عن نفسه وشهادتي بأنه من الصادقين؛ ليعلم إذا بلغه عني هذا الكلام: ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾.

بل اعترفت بأن المراودة كانت من قبلها وأنه كان صادقاً، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. كما أنه لم يهد كيدي أنا إذ كدته بأنواع المراودة، وبالسجن بضع سنين حتى أظهر صدقه في قوله وطهارة ذيله وبراءة نفسه، وفضحني أمام الملك والملأ ولم يهد كيد سائر النسوة في مراودتهن، وما أبرئ نفسي من السوء مطلقاً فإني كدت له بالسجن ليلجأ به إلى أن يفعل ما آمره: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

كيف يستشفع يوسف عليه السلام بغير الله تعالى؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف: ٤٢).

الجواب:

أراد يوسف عليه السلام إيصال مظلوميته ومظلومية أمثاله للملك وكشف الحقيقة؛

ليُعلم الملك أنّه نائم عن ما يجري في دهاليز وزرائك واللعب في مقدرات الشعب، وليس فيه أي محذور شرعي ولا ينافي الإخلاص، ولو كان قصد يوسف غير مرضي عند الله تعالى لأنسى الله الرجل وأنساه الشيطان: ﴿**فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ**﴾.

وهذا عمل يشكر عليه يوسف عليه السلام لا كما يقول البعض ترك الأوّلى؛ لأن الحق لا يعطى بل يؤخذ؛ لذلك على المظلومين أن يرفعوا أصواتهم ويلقوا حججهم على من ظلمهم ما وجدوا لذلك سبيلا.

ولم يكن توسل يوسف للخروج من السجن فحسب؛ بل لفضح الباطل وأهله ويدل على ذلك السياق: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ**﴾ فيوسف عليه السلام لم يقبل الخروج من السجن إحسانا من الملك عليه عليه السلام بل لا بد من أن تكون محاكمة عادلة، ويدل عليه: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾ (يوسف: ٥٠).

الآيات المتعلقة بالنبي شعيب عليه السلام

كيف يطلب النبي شعيب عليه السلام من قومه الاستغفار ثم التوبة؟ و ثم تفيد التراخي، أي: أنه لايشترط الفورية بالتوبة

وهو قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (هود: ٩٠).

الجواب:

وجوه أهمها: أنّه أراد بثم الواو، والمعنى: استغفروا ربكم وتوبوا إليه، وهذان الحرفان قد يتداخلان فيقوم أحدهما مقام الآخرة[١].

كيف يجعل النبي شعيب عليه السلام في الصداق التخيير والتفويض؟

وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ (القصص: ٢٧).

الجواب:

حاصل القصة: أنّ موسى خطب من شعيب عليه السلام إحدى ابنتيه، فقبل شعيب عليه السلام على مهر مقدره رعي أغنام كانت عنده لمدة ثمان سنوات أو عشر إن أحب موسى.

---

(١) تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى ص ٩٧.

فالإشكال: كيف يكون المهر متزلزلا، وكيف لشعيب عليه السلام التصرف في مهر ابنته؟

قلنا: يجوز أن تكون الغنم لشعيب عليه السلام وكانت الفائدة باستئجار من يرعاها عائدة عليه، إلا أنّه أراد أن يعوض بنته عن قيمة رعيها فيكون ذلك مهراً لها، وأما التخيير فلم يكن إلا ما زاد على الثماني حجج ولم يكن فيما شرطه مقترحاً تخييراً، وإنّما كان فيما تجاوزه وتعداه.

ووجه آخر: أنّه يجوز أن تكون الغنم للبنت، وكان الأب المتولي لأمرها والقابض لصداقها؛ لأنه لا خلاف أن قبض الأب مهر بنته البكر البالغ جائز وأنه ليس لأحد من الأولياء ذلك غيره، وأجمعوا أن بنت شعيب عليه السلام كانت بكرا[1].

(١) تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى ص ٩٨.

الآيات المتعلقة بالنبي زكريا عليه السلام

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ* قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: ٣٨ – ٤١).

وقال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا *وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ

﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٢ – ١٥).

الملاحظ في الآيات الكريمة في سورتي آل عمران ومريم أمران مهمان:

وهو كيف يطلب النبي زكرياعليه السلام الذرية من الله تعالى ويلح في الدعاء: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ وبعد ما يجيبه الله تعالى يتعجب: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ و﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾؟

الجواب:

لم يكن تعجب زكرياعليه السلام من قدرة الله تعالى بل استفهام واستعظام وسرور، وقال ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد من شيخ وعجوز.

هل يعيدهما إلى حال الشباب، ثم يرزقهما الولد أم على حالهما ويرزقهما الولد؟

أي: إن العلة ليست في القادر بل في القابل وهو الكبر والعقر، وقيل كان عمره مائة وعشرون سنة، وزوجتهُ ثمان وتسعون سنة؛ ولذا قال زكرياعليه السلام: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ مع أنّه دعا اللَّه أن يرزقه الذرية والولي الوارث في زمن الشباب فهو إما طلبا للاطمئنان بالبشرى؛ لأن ذلك على خلاف العادة في التناسل: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ كما في قول إبراهيم الخليلعليه السلام: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وإما شكراً واعترافاً بنعمته في إجابة دعائه على خلاف العادة الجارية في التناسل. بمعنى أنّي وإمرأتي في مثل هذه الحال فمن أين يكون لي غلام لو لا

قدرتك ورحمتك وعنايتك الخاصة الخارقة للعادة في إجابة دعائي.

فجاء الجواب ليطمئن: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

فأخبر قومه بعد يأسهم من استمرار النبوة من آل يعقوب بهذه البشرى السارة: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

ونختم بالآية الكريمة التي تصف النبي زكريا عليه السلام بمقامات رائعة:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩ – ٩٠).

الآيات المتعلقة بسائر الرسل عليهم السلام

ممن استيأس الرسل وبمن ظنوا تكذيبهم؟

وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠).

الجواب:

أي: استيأس المرسلون عن هداية الناس وعن سوقهم إلى الحقّ، وظنّ الرسل أنّ قومهم قد كذبوهم في أقوالهم وفي رسالتهم فيئسوا عن نتيجة الدعوة التي هي هداية قومهم.

فلما وصل الرسل مع قومهم إلى هذه النتيجة(عدم الهداية) جاء نصر الله تعالى إلى رسله.

أو كما روي أنّه قال المأمون لأبي الحسن عليه السلام: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا﴾؟

قال الرضا عليه السلام: «يقول الله تعالى حتى إذا استيأس الرسل من قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا»[1].

---

(١) تفسير البرهان ج ٣، ص ٢٧١.

هل كان الرسل على ملة المشركين؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم: ١٣).

وحاصل الإشكال أن قول المشركين للرسل لتعودن في ملتنا، والعود فرع المجيء، أي: الرسل كانوا قبل ذلك في ملة المشركين.

الجواب:

فيه أكثر من جواب:

كان الرسل يعيشون مع قومهم ولم يأمرهم الله تعالى بإظهار رسالتهم؛ لتقية أو لم يحن وقت اظهار الرسالة، وبينهم وبين الله كانوا موحدين، فحسب قومهم أنهم كانوا في ملتهم مشركين فلما أمر الله الرسل بتبليغ الرسالة لقومهم كذبوهم وحاربوهم وأرادوا منهم العود إلى ما كانوا عليه.

كيف لا يعلم الرسل من جحد رسالتهم؟

وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١٠٩).

الجواب:

أي: أن مرادهم لا علم لنا إلاّ ما علمتنا من علمك المطلق: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ إذاً ليس المراد من قولهم نفياً لمطلق العلم، بل نحواً من الخضوع لحضرة العظمة والكبرياء، والاعتراف بحاجتهم الذاتية وافتقارهم

الحقيقي لمولاهم الحق رعاية لأدب الحضور، وإظهار حقيقة الأمر فلا مجال لعلمنا قبال علمك غير المتناهي، فلا يعني أنّهم لا يعلمون.

ويشهد لهذا القول: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ (النساء: ٤١).

كيف لنبي أن يستبعد الإحياء والبعث؟

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

الجواب:

لم يفصح اللَّه سبحانه عن إسم المار بالقرية ولا عن إسم القرية، ومن هنا اختلف المفسرون: هل كان كافراً أو نبياً أو صدّيقاً ؟ وإذا لم يكن كافراً فهل هو عُزير أو ارميا؟ وأيضا اختلفوا في القرية هل هي بيت المقدس أو غيره، وهل القوم منهم؟ ولا دليل على التعيين إلا في بعض الروايات الضعيفة.

الفصل الرابع

الدفاع عن الملائكة عليهم السلام

هل هذا اعتراض من قِبل الملائكة عليهم السلام على الله تعالى؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

الجواب:

السؤال كان من الملائكة عليهم السلام على وجهِ الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الإنكار والاعتراض؛ لأنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦).

أو قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦ – ٢٧).

كيف تعلم الملائكة عليهم السلام السحر المحرم للناس؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ

عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢).

الجواب:

شاع السحر في زمن النبي سليمان عليه السلام، فأنزل الله تعالى الملكين يعلمان السحر للاحتراز ويحذرون من تعلمه أن تعلمه فتنة وابتلاء، وكل ما نسب للملكين عليهما السلام من القصص الخرافية فهي باطلة وموضوعة.

روي عن علي بن محمد بن الجهم، قال: سمعت المأمون يسأل الرضا علي بن موسى عليه السلام عما يرويه الناس من أمر الزهرة وأنّها كانت إمرأة فُتن بها هاروت وماروت، وما يروونه من أمر سهيل وأنه كان عشارا باليمن.

فقال الرضا عليه السلام: «كذبوا في قولهم أنهما كوكبان، وإنما كانتا دابتين من دواب البحر وغلط الناس [وظنوا] أنهما كوكبان، وما كان الله تعالى ليمسخ أعداءه أنوارا مضيئة ثم يبقيهما ما بقيت السماء والأرض، وإن المسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيام حتى تموت وما تناسل منها شيء وما على وجه الأرض اليوم مسخ، وإن التي وقع عليها إسم المسوخية مثل القرد والخنزير والدب وأشباهها إنما هي مثل ما مسخ الله على صورها قوماً غضب الله عليهم ولعنهم بإنكارهم توحيد الله وتكذيبهم رسله.

وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر؛ ليحترزوا به من سحر السحرة ويبطلوا به كيدهم، وما علما أحداً من ذلك شيئاً إلا قالا له: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾** فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه، وجعلوا

يفرقون بما تعلموه بين المرء وزوجه، قال الله تعالى: ﴿**وما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ يعني بعلمه»[1].

قال وعن أبي يعقوب وأبي الحسن: قلنا للحسن أبي القائم عليه السلام فإن عندنا قوماً يزعمون أن هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله تعالى مع ثالثٍ لهما إلى الدنيا، وأنهما افتتنا بالزهرة وأرادا الزنا بها وشربا الخمر وقتلا النفس المحرمة، وأن الله يعذبهما ببابل، وأن السحرة منهما يتعلمون السحر، وأن الله تعالى مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة.

فقال الإمام عليه السلام: «معاذ الله من ذلك، إن الملائكة معصومون من الخطأ محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله تعالى، فقال الله عز وجل فيهم: ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾ (التحريم: ٦)

وقال تعالى: ﴿**وَلَه مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ ومَنْ عِنْدَه** - يعني الملائكة - **لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِه ولا يَسْتَحْسِرُونَ* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ (الأنبياء: ١٩ - ٢٠).

وقال في الملائكة: ﴿**بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ* لا يَسْبِقُونَه بِالْقَوْلِ وهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ* يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ ولا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى وهُمْ مِنْ خَشْيَتِه مُشْفِقُونَ**﴾ (الأنبياء: ٢٦ - ٢٧ - ٢٨).

ثم قال عليه السلام: لو كان كما يقولون كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء

---

(١) تفسير البرهان ج ١، ص ٢٩٦.

على الأرض، فكانوا كالأنبياء في الدنيا أو كالأئمة. أفيكون من الأنبياء والأئمة قتل النفس وفعل الزنا؟»[١].

هل الملائكة عليهم السلام أجسام مادية؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ (البقرة: ٩٣).

الجواب:

الملائكة ليسوا أجسام مادية كأجسامنا، وليست الأيدي هنا بمعنى الجارحة كما في اللغة، بل خلق لطيف وهذا التعبير كناية ومجاز لا على نحو الحقيقية؛ لأن الملائكة ليسوا من عالم الخلق المادي بل من عالم الأمر، وهو الروح المجرد لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

أو لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣).

ما معنى سؤال الملائكة عليهم السلام؟

وهو قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: ٧١).

وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا

---

(١) نفس المصدر ص ٢٩٥.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: ٨ – ٩).

الجواب:

يعلمون أن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ (النحل: ٣٦).

ولكن القصد من سؤال الخزنة هو توبيخ المجرمين وإيلامهم تماما كقولك لمن أخذ بجريمته: هذا ما جنته يداك.

وهم في مقام التقاضي والمحاكمة وأخذ أقوال المجرمين.

مقامات الملائكة عليهم السلام في الآيات

منها: جهة الصفاء والنزاهة والطهارة والخشوع، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ٣١).

ومنها: قدرتهم وقوّتهم الممتازة العالية ونفوذهم في الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (السجدة: ١١).

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ﴾ (الأنفال: ٢٧).

ومنها: كون بعضهم مستعدّين للرسالة وأن يكونوا وسائط بين الله عزّ وجلّ وبين خلقه بمقتضى خلقتهم الممتازة، قال تعالى: ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ

عِبادِهِ﴾ (النحل: ٢).

وقال تعالى: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٥).

ومنها: فيهم استعداد أن يعيشوا في محيط اللاهوت وفي محضر من تجلَّي أنوار عظمته وكبريائه، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (الزمر: ٧٥).

وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

وقال تعالى: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٧).

ومنها: معصومون لأنهم لا يعصون الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ ا للهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم: ٦.

فإنّ هؤلاء الملائكة مع كونهم في مقام الشدّة والغلظة في قبال الكافرين والمنافقين والمخالفين لا يعملون عملاً خلاف ما أمر الله عزّ وجلّ.

ومنها: أنّهم يوافقون الله تعالى في الدعاء واللعن، قال عزّ وجلّ: ﴿أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ا للهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (البقرة: ١٦١).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ﴾ (الأحزاب: ٤٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ا للهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

ومنها: من كفر بالملائكة فقد كفر بالله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً﴾ (النساء: ١٣٦).

وقال تعالى: ﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّه وَمَلائِكَتِه وَرُسُلِه وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ فَإِنَّ ا للهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨).

ومنها: من آمن بالله ورسله وكتبه لابد أن يؤمن بهم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ومنها: أن بعضهم شاهداً على أعمال الخلق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١٠ – ١١).

ومنها: أنّهم عباد مكرمون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦ – ٢٧) وغيرها من المقامات.

الخاتمة

فيما تقدم استطعنا - بما وفقنا الله - إظهار الشُبه المتبادرة في الأذهان من ظواهر بعض آيات القرآن المجيد، ودفعها من نفس الآيات من إرجاع المتشابه إلى المحكم، والعام إلى الخاص، والمجمل إلى المبين، والمطلق إلى المقيد، والناسخ إلى المنسوخ، ومن فهم بعض الآيات من خلال السياق والمقاطع في السورة، والاعتماد على بعض الروايات غير المخالفة للقرآن، فكل ماخالف الكتاب يُضرب به عرض الجدار كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام.

وقد تعرضنا في الفصل الأول إلى مفهوم العصمة، وما قيل فيها من أقوال بشكل مختصر محيلين القاريء إلى المطولات.

ثم ذكرنا في الفصل الثاني ما يتعلق بأنبياء أولي العزم، وبدأنا الكلام بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وإن كان هو آخرهم إلاّ أننا قدمناه لشرفيته وفضله عليهم.

ثم دخلنا في الفصل الثالث وهو استعراض الآيات التي تتعلق بسائر الأنبياء عليهم السلام وما يعتريها من شبهات وإشكالات.

ثم دخلنا في الفصل الرابع، وهو استعراض الآيات التي تتعلق بالملائكة وما يعتريها من شبهات.

وهذا ما أردنا بيانه في هذا الكتاب، وهو شيء يسير وبضاعة

مزجاة نقدمها إلى نبينا الخاتم والأنبياء والمرسلين عليه وعليهم صلوات ربي أجمعين، ونستغفر اللّٰه تعالى زلة القلم، ونسأله أن يعفو عنا قلة الهمم وأن يوفقنا لما هو أكثر وأتم، والحمد للّٰه رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام أبي القاسم محمد وعلى آله الأطهار الكرام.

كتبه

الشيخ حسن يحيى المياحي

في العاشر من شهر ذي الحجة ١٤٣٥هـ

بجوار السيدة بضعة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

فاطمة المعصومة عليها السلام

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- لسان العرب، لابن منظور، كمادة عصم الناشر: أدب الحوزة.

٣- رسائل المرتضى، تحقيق: وتقديم: السيد أحمد الحسيني إعداد: السيد مهدي الرجائي.

٤- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥- تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد، تحقيق: السيد محمد علي أيازي، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٤ - ١٣٨٢ ش المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي).

٦- المحجة البيضاء، الكاشاني، طبعة ٥ مؤسسة النشر الإسلامي.

٧- كامل الزيارات، ابن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق الطبعة: الأولى، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.

٨- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف الطبعة: سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م المطبعة: الناشر: مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

٩- شرح أصول الكافي، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١٠- تفسير علي بن إبراهيم القمي، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب

الموسوي الجزائري.

١١- تاريخ الطبري، تحقيق: مراجعة وتصحيح، وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء الطبعة: الرابعة الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

١٢- كنز العمال، المتقي الهندي، تحقيق: ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

١٣- الكافي الشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية طهران.

١٤- وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤ المطبعة: مهر - قم الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.

١٥- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، تحقيق: صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش، المطبعة: مؤسسة الهادي - قم المقدسة، الناشر: مكتبة الصدر - طهران.

١٦- مفردات ألفاض القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة: الثانية.

١٧- التوحيد، الشيخ الصدوق، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٨- تفسير الصراط المستقيم، السيد حسين البروجردي، تحقيق: صححه وعلّق عليه الشيخ غلامرضا بن علي أكبر مولانا البروجردي، سنة الطبع: ١٤١٦ - ١٩٩٥ م، المطبعة: الصدر - قم، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.

١٩- مجمع الأمثال، الميداني، المطبعة: مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، الناشر: المعاونية الثقافية للآستانة الرضوية المقدسة.

٢٠- تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (المفسر) المطبعة:

الحيدري بطهران، الناشر: الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية.

٢١- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، سنة الطبع: أذار (مارس) ١٩٨١، المطبعة: طبع بالأوفست على مطابع دار العلم للملايين، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.

٢٢- تفسير نو الثقلين، الشيخ الحويزي، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، المطبعة: مؤسسة إسماعيليان، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم.

٢٣- الأمثل في تفسير القران المنزل، الشيخ مكارم الشيرازي.

٢٤- تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٢٥- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة - قم.

٢٦- تفسير جوامع الجامع، الطبرسي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٧- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٢٨- صحيح البخاري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٩- زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، تحقيق: مؤسسة المعارف، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٣، المطبعة: عترت، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - ايران.

٣٠- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تحقيق: حسين درگاهي، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة

والارشاد الإسلامي.

٣١- تفسير الرازي، فخر الدين الرازي.

٣٢- عيون أخبار الرضاعليه السلام، الشيخ الصدوق، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٣٣- فقه الرضاعليه السلام، ابن بابويه القمي، تحقيق: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفة، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضاعليه السلام - مشهد المقدسة.

٣٤- بحار الأنوار في أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر ألمجلسي، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.

٣٥- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.

٣٦- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي.

٣٧- تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، الطبعة الثانية، دار الأضواء بيروت لبنان.

٣٨- عصمة الأنبياء في القرآن، للشيخ السبحاني.

الفهرست

كلمة الناشر ٧

المقدمة ٩

الفصل الأول

بحوث تمهيدية

١٩

مقدمة في العصمة ٢١

العصمة لغة: ٢٢

العصمة اصطلاحاً ٢٢

مفهوم العصمة ٢٢

الأول: العصمة الجبرية ٢٣

الثاني: المعصوم ليس بشراً ٢٥

الثالث: العصمة بالاختيار ٢٦

مراتب العصمة ٢٨

طرق إثبات العصمة ٢٩

الأول: الصراط المستقيم ٣٠

فإن قلت ٣٠

الثاني: الإخلاص والاجتباء ٣١

الثالث: الأسوة والقدوة ٣٣

الفصل الثاني

٣٥

أولوا العزم ٣٧
بحث في معنى (أولوا العزم) ٣٩
الآيات المتعلقة بالنبي محمدﷺ ٤١
يوجد جملة من الآيات الكريمة تنسِب للنبيﷺ ماهو مخالف للعصمة ومقام النبوة .. ٤١
هل كان في صدر النبيﷺ حرج من التبليغ؟ ٤٩
هل النبيﷺ كاد يركن للمشركين؟ ٥٠
لماذا كان النبيﷺ يعجل بالقرآن؟ ٥١
هل كان النبيﷺ ينسى وكيف؟ ٥٢
هل كان النبيﷺ قليل الصبر؟ ٥٢
سؤال: هل تَقَولَ النبيﷺ غير الوحي؟ ٥٣
ورد في جملة من الآيات الكريمة ذكر مفردة الذنب والتوبة والمغفرة في النبيﷺ، فكيف ينسجم هذا مع العصمة؟ ٥٥
هل كان الشيطان يؤثر على النبيﷺ؟ ٦٠
ما معنى ينزغنك الشيطان؟ ٦١
ما معنى أن الشيطان يلقي في أمنية الأنبياء؟ ٦١
والمختار ٦٢
هل كان النبيﷺ أمياً، أي: أنه لا يجيد القراءة والكتابة وهل يعد هذا نقصاً؟ ٦٥
الجواب: ذكرت للأمي عدة معان ٦٦

كيف لا يعلم الغيب، أليس الوحي من الغيب؟ ٦٨
كيف يستغفر النبي صلى الله عليه وآله للمشركين، وقد نُهي عن ذلك؟ ٦٩
ما معنى أن النبي صلى الله عليه وآله كان من الغافلين؟ ٧٠
هل أخلف النبي صلى الله عليه وآله وعده مع المشركين بنزول العذاب؟ ٧١
كيف يخشى النبي صلى الله عليه وآله غير الله تعالى؟ ٧١
هل كان النبي صلى الله عليه وآله على ضلال؟ ٧٣
ما معنى الوزر في الآية؟ ٧٥
والمختار: ٧٥
كيف يقدم النبي صلى الله عليه وآله مرضات المخلوق على مرضات الخالق؟ ٧٦
كيف يتصف النبي بهذه الصفات؟ ٧٨
الآيات المتعلقة بالنبي نوح عليه السلام ٨٠
كيف يمكن لنبي أن يمسك زوجة خائنة؟ ٨٠
كيف يطلب نوح نجاة ابنه؟ وهو غير مستحق للنجاة ٨١
لماذا دعا على قومه؟ و كان الأوّلى أن يدعو لهم ٨٤
سؤال: لِمَ يحكم على أنّهم وما في أصلابهم فجاراً وكفاراً؟ ٨٤
الآيات المتعلقة بالنبي إبراهيم عليه السلام ٨٦
ألم يكن إبراهيم عليه السلام على يقين بأن الله تعالى يحيي الموتى؟ ٨٦
هل عبد النبي إبراهيم عليه السلام الكواكب قبل عبادة الله تعالى؟ ٨٧
هل كذب عليهم حين قال إني سقيم؟ ٨٩
كيف ينسجم مضمون الآية مع ما عُرف عند الشيعة أن آباء الأنبياء مؤمنين؟ ٩٠

حتى لو لم يكن أبوه فكيف يدعوا إبراهيم الخليل عليه السلام لمشرك؟ ٩١
كيف لايعرف إبراهيم عليه السلام أنّهم ملائكة فأوجس منهم خيفة؟..... ٩٣
كيف لنبي من أولي العزم وخليل الرحمن أن يتعجب، وهل هذا القنوط كما وصفته الآية من اليأس؟ ٩٥
كيف ينسب للأصنام الإضلال وهي جماد؟ ٩٦
كان من الأوّلى أن لا يهددهم بتحطيم آلهتهم حتى لا يكون المتهم الرئيس عند تدميرها؟.... ٩٧
هل كذب حين نسب التدمير لكبير الأصنام؟ ٩٧
ونختم بما قاله القرآن في حق خليل الرحمن عليه السلام. ٩٩
الآيات المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام ١٠٠
هل يطرأ النسيان على الأنبياء عليهم السلام؟ ١٠١
كيف يكون الخضر عليه السلام أعلم من موسى عليه السلام؟ وهو نبي من أولي العزم ١٠٢
كيف يصف الخضر عليه السلام موسى عليه السلام بعدم الصبر؟..... ١٠٤
لماذا لم يصبر النبي موسى عليه السلام؟ ١٠٤
كيف يقتص الخضر عليه السلام من الغلام قبل الجناية؟..... ١٠٦
كيف يمكن أن يوصي موسى عليه السلام هارون النبي عليه السلام بعدم إتباع المفسدين، وهل يحتاج نبي الله هارون إلى مثل هذه الوصية والتحذير؟ ١١٠
كيف يلوم النبي موسى عليه السلام هارون عليه السلام؟ وكأنه سبباً لانحرافهم أو متهاونا معهم .. ١١١
لماذا طلب موسى عليه السلام المغفرة، هل كانا مقصرين؟ ١١٣
هل كان في لسان موسى عليه السلام لكنة؟ حتى طلب من الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام؛ لأنه أفصح منه لساناً ١١٤

هل استعفى النبي موسىعليه السلام من أداء الرسالة؟ ١١٥
كيف لنبي أن يخاف؟ وهو يعلم أن الله تعالى معه ١١٦
هل كان خوف موسىعليه السلام في واقعة السحرة شكاً في صحة ما جاء به؟..... ١١٨
لماذا يصف قتله للرجل بالذنب؟ ١١٩
كيف ينسب النبي موسىعليه السلام الإضلال لله تعالى؟ ١٢١
كيف يطلب النبي موسىعليه السلام رؤية الله تعالى؟ وهو يعلم أنّها مستحيلة..... ١٢٢
ونختم البحث في الآيات التي تبين لنا مقام النبي موسىعليه السلام ١٢٤
الآيات المتعلقة بالنبي عيسىعليه السلام ١٢٥
كيف ينسب النبي عيسىعليه السلام الخلق له، والخالق هو الله تعالى؟ ١٢٥
هل ادعى النبي عيسىعليه السلام الإلوهية؟ ١٢٦

الفصل الثالث

الدفاع عن سائر الأنبياءعليهم السلام

١٢٧

الآيات المتعلقة بالنبي آدمعليه السلام ١٢٩
الآيات المتعلقة بالنبي لوط عليه السلام ١٣٦
كيف يعرض النبي لوطعليه السلام بناته على المشركين؟ ١٣٦
ما معنى منكرون، وما معنى سيء وضاق بهم ذرعاً؟ ١٣٦
الآيات المتعلقة بالنبي داود عليه السلام..... ١٤٣
أولاً: فزع داوود عند دخول الخصمان!..... ١٤٣
ثانياً: هل أخطأ داوود في الحكم؟ ١٤٥

ثالثاً: لِمَ ظَنَ داوود النبي عليه السلام، ولَم يكن على يقين؟ ١٤٧
الآيات المتعلقة بالنبي سليمان عليه السلام ١٥٠
أولاً: كيف لا يعرف مكان الهدد؟ ١٥٢
ثانياً: كيف خفي على النبي سليمان عليه السلام بما علمه الهدد، ولماذا أساء الظن بالهدد؟ ... ١٥٢
ثالثاً: ألم يكن بمقدور سليمان عليه السلام الإتيان بعرش بلقيس؟ حتى يطلب ذلك من الملأ..... ١٥٤
كيف ينشغل النبي سليمان عليه السلام عن ذكر الله تعالى؟ ١٥٥
بماذا فتن النبي سليمان عليه السلام؟ ثم أناب ١٥٨
هل كان النبي سليمان عليه السلام بخيل في دعائه هذا؟..... ١٦٢
وبالختام تعال لننظر ماذا قال القرآن في النبي سليمان عليه السلام..... ١٦٥
الآيات المتعلقة بالنبي يونس عليه السلام ١٦٦
إذا كان الأمر كذلك فلماذا عاقبه الله تعالى؟..... ١٦٨
الآيات المتعلقة بالنبي أيوب عليه السلام ١٧٢
الآيات المتعلقة بالنبي يعقوب عليه السلام ١٧٥
كيف يغرر النبي يعقوب عليه السلام بولده يوسف عليه السلام؟..... ١٧٦
هل كان حزن النبي يعقوب عليه السلام جزعاً؟ ١٧٦
الآيات المتعلقة بالنبي يوسف عليه السلام ١٧٨
ما معنى أن يوسف الصديق عليه السلام همّ بإمرأة العزيز؟..... ١٧٨
هل معنى الآية الكريمة أنّه دعا ربه أن يدخله السجن حتى لا ينزل إلى رغبتهن؟..... ١٨٣
كيف يحبس يوسف عليه السلام أخاه بنيامين، أليس هذا إلحاق الأذى بأبيه؟..... ١٨٤
كيف يرضى النبي يوسف عليه السلام أن يسجدوا له؟ وهو لا يجوز إلا لله ١٨٤

كيف ينسب النبي يوسف عليه السلام لإخوته السرقة؟ والحقيقة أنهم غير سارقين ١٨٥
هل كان يوسف عليه السلام سارق لشيء من قبل؟ كما قالوا إخوته حين أُتهِمَ بنيامين بسرقة صواع الملك ١٨٥
هل الاعتراف بالسوءمن كلام يوسف عليه السلام، أو من كلام امرأة العزيز؟..... ١٨٦
كيف يستشفع يوسف عليه السلام بغير الله تعالى؟ ١٨٧
الآيات المتعلقة بالنبي شعيب عليه السلام ١٨٩
كيف يطلب النبي شعيب عليه السلام من قومه الاستغفار ثم التوبة؟ وثم تفيد التراخي أي أنه لايشترط الفورية بالتوبة..... ١٨٩
كيف يجعل النبي شعيب عليه السلام في الصداق التخيير والتفويض؟ ١٨٩
الآيات المتعلقة بالنبي زكريا عليه السلام ١٩١
الآيات المتعلقة بسائر الرسل عليهم السلام ١٩٤
ممن استيأس الرسل، وبمن ظنوا تكذيبهم؟..... ١٩٤
هل كان الرسل على ملة المشركين؟ ١٩٥
كيف لا يعلم الرسل من جحد رسالتهم؟ ١٩٥
كيف لنبي أن يستبعد الإحياء و البعث؟ ١٩٦

الفصل الرابع

الدفاع عن الملائكة عليهم السلام

١٩٧

الآيات المتعلقة بالملائكة عليهم السلام..... ١٩٩
هل هذا إعتراض من قِبل الملائكة عليهم السلام على الله تعالى؟ ١٩٩

كيف تعلم الملائكة عليهم السلام السحر المحرم للناس؟ ١٩٩
هل الملائكة عليهم السلام أجسام مادية؟ ٢٠٢
ما معنى سؤال الملائكة عليهم السلام؟ ٢٠٢
مقامات الملائكة عليهم السلام في الآيات ٢٠٣
الخاتمة ٢٠٧
المصادر ٢٠٩
الفهرست ٢١٣